التربية للمصير

بقلم عبد الحميد ياسين

***

راجت كلمة (المصير) هذه الايام ، وان كان اكثر استعمالها سابقا في عبارة (بئس المصير) . ويحسن الاخذ بها في الحديث عن هدف التربية ونهجها في مرحلتنا الراهنة ، مما يؤدي الى مصير لنا هو (نعم المصير) .

فمن بديهيات التربية أن هدفها تنمية قدرات الفرد وتحقيق امكاناته ، من مهده الى لحده ، تنمية وتحقيقا يتناولان النواحي الجسمية والعقلية والروحية لشخصيته، ليكون عضوا سعيدا نافعا لنفسه ومجتمعه العائلي والقومي والانساني ، منفعلا بهذا المجتمع فاعلا فيه – أي متكيفا ومكيفا لـه .

وهذا الهدف التربوي العام ، شأنه شأن الاهداف التفصيلية المنبثقة منـه ، يتصف بالقابلية للتكييف والتعديل ، تبعا لظروف البيئة الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والمصيرية في المرحلة التي يمر بها الفرد والمجتمع والمرحلة التي يقفان على عتبتها . وقديما قال عمر بن الخطاب : علموا اولادكم غير ما تعلمتم ، فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم .

ونحن الآن في أتون معركة مصيرية بدأت منذ نصف قرن ، واجهنا ونواجه وسنظل نواجه فيها عدوا شرسا بعيد المطامع ، وله أعوان أقل ما يقال فيهم انهم يأبون الفهم . وقد خسرنا في هذه المعركة ، التي لم يكن لنا فيها خيار ، جولة واخرى ، لنقص في وعينا وقلة في بذلنا ، ولاننا غير مجتمعي الكلمة غير موحدي الصف . وعلينا ان نكسب الجولة القادمة التي لا بد منها ، باستكمال التهيؤ لها ، والتكيف للظروف الراهنة والمقبلة . وما لم نكيف تربيتنا ونهجها لذلك ، انحدرنا الى مصير هو « بئس المصير » .

وفي ضوء هذا ، اتبين للتربية اهدافا جديرة بالنظر ، وأوجزها بحب الحياة الحرة الكريمة ، والبذل السخي للحفاظ عليها وعلى التراب الذي تقوم به وتسير عليه ، حبا وحفاظا قويين ، في أمانة وعزم واتحاد . ثم اتناول هذه الاهداف بالتفصيل الآتي :

الهدف الاول حب الحياة : نعلم أن حب الحياة والحفاظ عليها شيء قد جبل عليه الانسان ، ولكنه قد يزهد فيها او يملها أو يعافها ، فلا يبالي أن يحتفظ بها أو يتخلى عنها ،بل قد يعمد الى الخلاص منها يأسا او خوفا او اقداما فاديا . ومن حسن الطالع ان الناس يزدادون تعلقا بالحياة حين يواجهون الخطر والتحدي، فيستميتون في المقاومة ، ويحتالون أو يفرون حين لا يكون لهم قبل بهما او طاقة عليهما .

فمن واجب التربية ان تذكي حب الحياة ، وترسخ الايمان بقيمتها ، وتنمي القوة للحفاظ عليها والشجاعة في مقاومة ما يتهددها من تحد وخطر . فتربي الجسم سليما قويا ، وتشيع الثقة في النفس والامل في الغلبة على الخطر . ويتم هذا بمضاعفة العناية بالتربية البدنية والرياضية والعسكرية ، لتقويم الجسم وتنمية قوة الاحتمال وروح الدأب والتعاون والانضباط، والتعويد على الصلابة والاتزان اللذين يمنعان الزهو بالنصر والانهيار أمام الهزيمة .

الهدف الثاني حب القوة : فلا قيمة للحياة اذا كانت مجرد وجود او محض بقاء . بل هي تستمد القيمة من القوة الذاتية في الكائن الحي الذي يؤدي فعلا بارادته ، وبذلك يسمو على الجماد وعلى الكائنات الحية الاخرى .

والقوة – جسمية كانت أم عقلية أم روحية – درع يقي الحياة من الخطر، وهو حافز لها لان تمتد وتزدهر وتعطي اكلها طيبا وافرا . وكذلك تذكي القوة الجسمية الثقة بالنفس ، وتنمي الاباء والانفة ، وتدعم الروح المعنوية صنو القوة المادية في درء الخطر . ولا تضارب بين القوة والانضباط في الفرد ما دامت تنميتهما فيه تسير في اتزان واتساق منذ البداءة . ولا يقتصر نفع القوة على القوي نفسه ، بل انها كذلك تحول دون العدوان عليه ، فالضعف في الضعيف يغري بالعدوان عليه ، والهزيمة توغر الصدر ، ثم تكون حرب الثأر سجالا .

والقوة المادية تشمل الثراء. والثراء الشريف حصيلة الجهد المنتج والادخار السليم . فالكسب الحلال لا يكون استغلالا ولا استعطاء ، ولا يجيء مع الريح المؤاتية او الطالع السعيد ، كما ان الادخار السليم لا يكون مع التبديد السفيه ولا مع الشح المهين . ومن واجب التربية ان تخرج جيلا قوي الاجسام سليم الحواس ، قد احسن تدريبه الرياضي والعسكري . ومن واجبها ايضا ان تهيء هذا الجيل لاستثمار قوته في الانتاج الاقتصادي والدفاع القومي لصالح الفرد والمجتمع ، وان تعلم قيمة العمل اليدوي والكسب الحلال والاقتصاد والتوفير .

الهدف الثالث حب الحرية : فالحرية هي الجو الصالح لنمو قدرات الفرد نموا سويا ، وتحقيق امكاناته دون عائق . ولا يمكن صب الافراد في قالب واحد ، لا في نموهم الجسمي ولا العقلي ولا العاطفي . لكن الحرية لا تعني اطلاق الفرد وحبله على غاربه ، بل توجيهه منذ البداءة لحسن الاختيار بين طريقين أمامه او موقفين يجابهانه او رأيين يعرضان عليه ، تبعا لميله وقدرته ودوره

في المجتمع. ان الحرية الحقة هي حرية اختيار الافضل. ولا تناقض بينها وبين الانضباط، لان الفرد يدرب عليهما معا ويعتاد المواءمة بينهما، اول الامر وطيلة مسيرته، ولا يدرب على الانضباط بالقسر كما لا تنمى الحرية فيه بالفوضى.

وتوكل اشاعة روح الحرية الى من يفهم الطبيعة البشرية، ويحب بني الانسان، ويعشق الحرية وغيرها من المثل العليا. وليس من الحرية أن يبدد الفرد ماله الى حد السفه، او يخرج على القانون كسبا لمغنم أو فرارا من واجب أو تباهيا بنفوذ. لكن الحرية أن يقول ويفعل كل ما ينفعه ولا يضير غيره، وأن يساوي بغيره، ويسهم في سن التشريع الذي ينطبق عليه وفي اختيار نظام الحكم الذي يخضع له.

وتبث مبادىء الحرية بطريق القدوة والتطبيق في المدرسة وفي نظامها الذي يشجع نشاط اللجان والجمعيات فيها.

الهدف الرابع حب المجتمع: والمجتمع القومي مرحلة وسطى بين المجتمع العائلي الذي يدين الفرد له بالولاء تلقائيا، وبين المجتمع الانساني الذي يكون الولاء له نفاقا الا في الافراد الذين اجتازوا مرحلتيه السابقتين بنجاح.

ولا خير في حب الفرد للمجتمع، الا اذا ترجمه الى افعال نافعة يأتيها كمواطن ثم كصاحب دور معين يؤديه. فكل مواطن مسؤول عن الاسهام الفعلي في الدفاع عن الوطن وحماية ساكنيه من العدوان. وحين يفتح باب التطوع فلا يدخله المواطنون افواجا، لا بد من اللجوء الى التجنيد، وهذان طريقان للواجب الاسمى، لاقصى غاية الجود، للبذل والتضحية والفداء. اما الدور المحدد لمواطن أو آخر، فيكون اختياره في مهنة أو حرفة أو غيرها من مسالك كسب العيش، تبعا لميل الطالب وقدرته ولياقته، لا سعيا لاهثا وراء المهن التي تجزل العطاء أو تحاط بهالة باهرة، ولا فرارا من مشقة العمل اليدوي أو احتقارا له.

ومن اجل الدور العام والدور المحدد الذي يؤديه المواطن، لا بد من تسليحه بالتهذيب الديني مترجما الى حسن المعاملة، وبالثقافة الادبية الحافزة للقوة والكرامة، وبالتعريف والممارسة للحقوق والواجبات، وبادراك السبب والنتيجة في كل ما يتناوله بالدرس، وبالتمييز بين الترفيه الذي يثير الشهوة ويخمد الهمة والترويح الذي يزكي النفس ويشحذ العزم.

وفي مرحلة التعليم العالي لا بد من توكيد استيعاب قضايا مجتمعنا المعاصر، كما توسع معارف المقبلين على ميدان الاعلام في أحوال العدو ولغته، ويغدق بالثقافة والتوعية المصيرية على المتجهين للسلك الخارجي ليكونوا علماء امناء ثوارا.

يجوز التساؤل: ما نفع العلم الذي ينير العقل، اذا كان نوره يتعايش مع ظلام الخرافة؟ ما نفع التدريب المهني الذي يكسب الرزق، اذا كان لا يحبب الاتقان؟ ما نفع الفن الذي يمتع الحواس، اذا كان لا يزكي النفوس؟ وما نفع هذه جميعا، اذا ضاعت الارض وهام الشعب على وجهه؟ لكن قد حان الوقت الآن لمعالجة أهداف التربية للمصير. رحم الله حافظ ابراهيم شاعر الوطنية الكبير الذي قال بلسان أرض الكنانة:

كم بغت دولة علي وجارت ... ثم زالت وتلك عقبى التعدي
قد وعدت العلا بكل ابي ... من رجالي، فانجزوا اليوم وعدي
أن في الغرب اعينا راصدات ... كحلتها الاطماع فيكم بسهد
فاتقوها بجنة من وئام ... غير رث العرا وسعي وكد
نحن نجتاز موقفا تعثر الآراء فيه ... وعثرة الراي تردي
فقفوا فيه وقفة العزم وارموا ... جانبيه بعزمة المستعد

هذا وغيره كان من قول حافظ قبل نصف قرن، وما اشبه الليلة بالبارحة! فما احرانا بالنظرة الفاحصة لحالنا ومصيرنا، والعمل لتكييف تربيتنا وفقا لهما، ليكون لذريتنا ما ليس لنا: حال انعم به من حال، ومصير هو نعم المصير!

عمان – الاردن **عبد الحميد ياسين**

أمل

لا تحرميني نظرة عجلى
تحيي المنى، وتذيب آلامي
فالنظرة العجلى وان قصرت
زادي لاعوام، واعوام
أنا لا أريد الوصل، ليس الى
هذا المدى، تمتد احلامي
حسبي وحسب القلب ان أحيا
كوريقة في بحرك الطامي
فاذا رسوت على جزائركم
وحبوتني برفيف أنسام
أسعدتني، أسعدتني أبدا
ومحا حنانك ليل أيامي
او فاتركي لي، منيتي، أملا
يمحو غشاوة عمري الدامي
ويظل فردوسي اذا احتدمت
نوب الحياة، ونبع الهامي

امارة الفجيرة **عبد المنعم عواد يوسف**



الدكتور احمد الشرباصي

جولة مع ياقوت الحموي الاديب

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

ياقوت الحموي صاحب كتابي « معجم الادباء » و « معجم البلدان » هو أحد الاعلام في العصر العباسي الثاني من عصور الادب العربي ، لانه ولد سنة ٥٧٤ هـ وتوفي سنة ٦٢٦ هـ ، والعصر العباسي قد كانت خاتمته في سنة ٦٥٦ هـ باسقاط التتار دولة الخلافة في بغداد .

وهناك في تاريخنا اكثر من شخص كل منهم اسمه « ياقوت » ، فهناك الكاتب الاديب النحوي ياقوت بن عبد الله الرومي الاصل ، نزيل الموصل ، كان واحد عصره في جودة الخط واتقانه ، فقصده الناس من البلاد ، وكتب عليه خلق لا يحصون كثرة ، وقد اخذ النحو والادب عن ابن الدهان : أبي سعيد بن البارك ، ولازمه .

وقد لقيه ياقوت صاحب « معجم الادباء » و « معجم البلدان » ، وقال عنه : « اجتمعت به في الموصل سنة ثلاث عشرة وستمائة ، فرأيته على جانب عظيم من الادب والفضل والنباهة والوقار ، وقد أسن وبلغ من الكبر الغاية ، ورأيت كتبا كثيرة بخطه يتداولها الناس ، ويتغالون بأثمانها ، بينها عدة نسخ من الصحاح للجوهري والمقامات الحريرية » .

وقد توفي سنة ثمان عشرة وستمائة ، وهي السنة التي يقول عنها صاحب « معجم الادباء » انه عاد فيها من الخوارزم الى الموصل .

وهناك « ياقوت » ثان ، وهو الاديب الشاعر : مهذب الدين أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي ، مولى التاجر ابي منصور الجيلي ، نشأ ببغداد ، وحفظ القرآن ، وتعلم في المدرسة النظامية ببغداد العلوم العربية والادبية ، وكان حسن الخط والضبط ، وتأدب ، وغلب عليه الشعر ، وتقدم في النظم ، وانتشر شعره في الشام والعراق ، وله شعر لطيف ، ومن شعره قوله في الغزل :

لك منزل في القلب ، ليس يحله … الا هواك ، وعن سواك أجله
يا من اذا جليت محاسن وجهه … علم العذول بأن ظلما عذله
الوجه بدر دجى ، عذارك ليله … والقد غصن نقا ، وشعرك ظله
هذي جفونك اعربت عن سحرها … وجمال وجهك ليس يوجد مثله
هل في الورى حسن أهيم بحبه ؟ … هيهات ، أضحى الحسن عندك كله

وله ايضا هذه الابيات من قصيدة :

جسدي لبعدك يا مثير بلابلي … دنف بحبك ، ما أبل ، بلى بلى
يا من اذا ما لام فيك لوائمي … اوضحت عذري بالعذار السائل
أأجيز قتلي في «الوجيز» لقاتلي … أم حل في «التهذيب» أم في «الشامل»
أم في «المهذب» أن يعذب عاشق … ذو مقلة عبرى ، ودمع هامل ؟

وقد توفي في شهر ربيع الآخر — وقيل في شهر جمادي الاولى — سنة اثنتين وعشرين وستمائة هجرية (١٢٢٥) م . ودفن في بغداد .

وهناك ياقوت ثالث ، اسمه جمال الدين ، أو أمين الدين ، ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي الموصلي ، المعروف بالملكي نسبة للسلطان ملكشاه ابي الفتح بن سلجوق ، وهو اديب ، ناثر ، ناظم ، خطاط ، كان من مماليك الخليفة المعتصم ، ومن آثاره رسالة في الخط ، وكتاب أسرار الحكماء ، ورسالة في الحكم والآداب والاخبار ، ونبذة من اقوال الفضلاء .

وتوفي بالموصل سنة ثمان وتسعين وستمائة هجرية (١٢٩٩) م .

وبقي ياقوت رابع ، وهو صاحبنا ، صاحب « معجم البلدان » و « معجم الادباء » .

ترجمة ياقوت وحياته

هو الاديب الناثر الشاعر ، اللغوي النحوي ، المؤرخ العالم بتقويم البلدان ، الخبير بتراجم الادباء والعلماء : ابو الدرى شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي .

وانما لقب بالحموي لان تاجرا اسمه « عسكر بن ابي نصر ابراهيم الحموي » رأى ياقوت بن عبد الله في سوق بغداد ، وقد حملوه أسيرا فاشتراه ، فنسب ياقوت اليه ، وقيل عنه « الرومي » لانه مولود في بلاد الروم ، وقد اخذوه منها اسيرا .

وقيل عنه « البغدادي » لانهم حملوه بعد اخذه الى بغداد ، حيث بيع فيها ، وأقام بها حينا مـن الزمان . ويروى انه حينما تميز واشتهر سمى نفسه « يعقوب » . وذلك مروي عن ابن العماد الحنبلي .

ولقد ذكر ناشرو الطبعة البيروتية مـن « معجم البلدان » انه لا يعلم شيء عن مولد ياقوت ، وهذا يحتاج الى نظر ، فقد ذكر صاحب « وفيات الاعيان » ان ولادة ياقوت كانت سنة اربـع وسبعين وخمسمائة هـ او ٥٧٥ في بلاد الروم .

ولقد أسر ياقوت من بلاده صغيرا ، ويقول صاحب « **كنوز الاجداد** » : « **أخذه المسلمون أسيرا وهو طفل** » . واشتراه في بغداد « عسكر الحموي » التاجر الذي كان يسكن بغداد ، وصار له فيها زوجة واولاد .

وكان « عسكر » **رجلا ذا مال ، ولكنه كان أميـا لا** يقرأ ولا يكتب، فأراد أن ينتفع بغلامه في حساب تجارته، فادخله « الكتاب » ليتعلم القراءة والكتابـة والحساب ، حتى يضبط له أموال التجارة ، فتعلم ياقوت جانبا مـن اللغة والنحو ، ثم اقتضت ظروف التجارة أن يبعث بـه « عسكر » الى رحلات كثيرة ، واسفار متعددة ، فكانت هذه الرحلات والاسفار معلما كبيرا لياقوت ، افاد منـه الكثيـر .

وهناك ظاهرة تلفت الانظار فـي العصر العباسي الثاني ، وهي كثرة الكتب التـي كانت ثمرات لرحلات **أصحابها في البلاد والاصقاع** ، فالى جوار كتابي « معجم البلدان » و « معجم الادباء » لياقوت اللذين كانا ثمرة واضحة لتنقلاته ورحلاته ، **نجد** كتابي « مروج الذهب » و « **التنبيه والاشراف** » **لعلي بـن الحسين المسعودي** المتوفي سنة ٣٤٦ هـ ، والذي نشأ فـي بغداد ، كانـا ثمرتين جليلتين لرحلاته الى كثير من الامصار والبلدان ، فزار مصر والشام وارمينية والهند وسرنديب (سيلان) وساحل الريخ (زنزبار) ومدغشقر ، **وركب بحر قزوين،** وتمثل في كثرة رحلاته بقول الشاعر : . .

تيمم أقطـار البـلاد ، فتـارة لدىشرقهاالاقصى،وطورا الىالغرب
سرىالشمس لا تنفك تقذفها النوى الـى أفق نـاء يقصر بالركب

وكذلك كان كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الاصفهاني المتوفي سنة ٥٩٧ ثمرة طيبة لرحلاتـه العديدة ، واتصاله اتصالا مباشرا **بعدد كبير من الشعراء** والكتاب ، والاخذ عنهم في مختلف اقطارهم وامصارهم .

وبجوار هذا نجد في العصر العباسي الثاني كثرة من المؤرخين والجغرافيين الذين اعتمد اكثرهم ـ ان لم نقل **جميعهم ـ على الرحلة والمشاهدة في كتابة ما خلفوا مـن** آثار ، ونذكر من هؤلاء :

١ ـ المسعودي المتوفي سنة ٣٤٦هـ صاحب كتاب « مروج الذهب » .

٢ ـ الادريسي صاحب كتاب « **نزهة المشتاق** فـي اختراق الآفاق » .

٣ ـ ابن جبير صاحب رحلة ابن جبير التي وصف فيها جولاته في اواخر القرن السادس فـي مصر والشام والحجاز والعراق وصقلية .

٤ ـ ابن مسكويه المتوفى سـنة ٤٢١ هـ صاحـب « تحارب الامم » .

٥ ـ ابن الاثير الجزري المتوفـي سنـة ٦٣٠ هـ صاحب كتاب الكامل في التاريخ .

٦ ـ البغدادي المتوفي سنة ٤٦٣ هـ صاحب كتاب « تاريخ بغداد » .

٧ ـ الثعالبي المتوفـي سنة ٤٢٩ هـ صاحب كتاب « **يتيمة الدهر** » .

٨ ـ المقدسي المتوفي سنة ٣٧٥هـ صاحب كتـاب « أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » .

٩ ـ ابو اسحاق الاصطخري الفارسي صاحـب كتاب « الاقاليم » .

١٠ ـ القفطي المتوفي سنـة ٦٤٦ هـ صاحب كتاب « تاريخ مصر » .

وبعد ان رحل ياقوت بأمر مولاه « عسكر » الى كثير من البلاد مثل عمان والشام وكيش ، وجاب البلاد ما بين جيحون والنيل وغيرها ، **حدث بينه وبين مولاه مـا جعل** السيد يعتق مملوكه ويبعده عنه ، ولم يفصل التاريـخ حديثه عما وقع بين ياقوت وعسكر ، **واكتفـى صاحب** « شذرات الذهب » بأن يقول : « **وقعت بينه وبين مولاه** نبوة أوجبت عتقه والبعد عنه » **. وقد حدثت هذه الجفوة** سنة ٥٩٦ هـ .

وحينئذ اخذ ياقوت يكسب قوتـه بنسخ الكتب والاتجار فيها ، فنال عن طريق ذلك مالا قليلا ، ولكنه نال جليلا عن طريق المطالعة ، اذ أفادته هـذه الكتب التـي نسخها او اتجر فيها معلومات واسعة ومتنوعة .

وبعد حين من الزمن احتاج « عسكر » الى ياقـوت مرة اخرى ، فبحث عنه وأعاده اليه ، وكلفه السفر فـي تجارة له ، فاستجاب ، وحينما عاد من رحلته وجـد أن مولاه قد مات ، وقد خلف من ورائه ثروة طائلـة صارت بين يدي ياقوت ، فأعطى منها أولاد عسكر مـا ارضاهم به ، وبقيت في يده بقية صارت راس مال لتجارته ، وكان بعضها في الكتب .

وعاود ياقوت الرحلة ، كأنها قد أصبحت شيئا من طبيعته ، فرحل الـى دمشق وحلب والموصل واربـل وخراسان ، وأقام في خراسان يتجر بهـا ، واستوطن بلدة « مرو » زمنا ، ثم رحل عنها الى بلدة « نسا » ثـم الى بلاد كثيرة .

واخبرنا ياقوت انه قدم « نيسابور » سنة ٦١٣ هـ ثم استقر في « خوارزم » ، وظل فيها حتى سنة ٦١٦هـ

(١٢١٩ م) حيث أقبل « جنكيزخان » سلطان المغول او التتار ، فأغار في العام المذكور على خوارزم ، فاضطر ياقوت ان يخرج من خوارزم منهزما ، وهو لا يحمل شيئا من ماله ، ولقي في طريقه مصاعب كثيرة ، وبلغ الموصل سنة ٦١٧ هـ وأقام فيها مدة ، ثم رحل الى « سنجار »، ثم الى اربل التي قدمها في رجب سنة ٦١٧ هـ . ثم انتهى به المطاف الى حلب حيث قضى فيها ما بقي من حياته ، بعد ان تقلبت به الايام ، وفقد ثروته اكثر من مرة حتى عد من المفلوكين ، وكان يقيم في « الخان » بظاهر حلب . وقبل وفاة ياقوت وقف كتبه على مسجد الزيدي بدرب دينار في بغداد ، وسلمها الى الشيخ عز الدين بن الاثير صاحب التاريخ الكبير .

وتوفي ياقوت الحموي في يوم الاحد العشرين من رمضان سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) . عليه رحمة الله .

شخصية ياقوت الادبية

يبدو لنا ان ياقوت الحموي كان عصاميا في تكوين شخصيته الادبية ، لم يعتمد في ذلك على دراسة منظمة، او مكان للتعليم محدد ، أو اساتذة للتعليم معينين ، واذا كان مولاه عسكر قد دفع به الى التعليم ، فلعل هذا التعلم لم يستمر في مكانه المحدد المتواضع الا وقتا قصيرا ، عقل فيه ياقوت القراءة والكتابة والحساب ، ليضبط لمولاه حساب تجارته ، وبذلك انتقل ياقوت الى المدرسة الكبيرة الواسعة ، التي تمثلت في البلاد التي هاجر اليها ، والرجال الذين لاقاهم هنا وهناك ، والعلماء والادباء والشعراء الذين شافههم وسمع منهم خلال رحلاته ، ثم كان لديه هؤلاء الشيوخ الاساتذة المعلمون الصادقون الصامتون الاوفياء ، وهم الكتب التي سامرها ياقوت ، وعكف عليها ، خلال نسخه لها او اتجاره فيها.

ومع هذا يشير ياقوت في مقدمة « معجم البلدان» الى شيخ له هو الامام فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني الذي يعبر عنه ياقوت بقوله : « شيخنا الامام السعيد الشهيد فخر الدين ابو المظفر عبد الرحمن ابن الامام الحافظ تاج الاسلام ابي سعد عبد الكريم السمعاني ، تغمدهما الله برحمته ورضوانه » . وهي عبارة تدل على الوفاء لشيخه والتوقير لمكانته .

وكانت لياقوت همة عالية في تحصيل المعارف والآداب ، ولذلك كان يدمن القراءة ، ويقول عن الكتب التي عنده : « كنت أرتع فيها ، واقتبس من فوائدها ، وانساني حبها كل بلد ، والهاني عن الاهل والولد » . وكان شغوفا بأخبار العلماء ، متطلعا الى أنباء الادباء ، يسائل عن احوالهم ، ويبحث عن غرر اقوالهم ، بحث المغرم العاشق ، وهو نفسه يقول في ذلك :

« فما زلت منذ غذيت بغرام الادب ، والهمت حب العلم والطلب ، مشغوفا بأخبار العلماء ، متطلعا الى انباء الادباء ، أسائل عن أحوالهم ، وأبحث عن نكت اقوالهم ، بحث المغرم الصب ، والمحب عن الحب ، وأطوف على مصنف فيهم يشفي الغليل ، ويداوي لوعة العليل » .

ومع اعجابنا بشخصية ياقوت وعصاميته وفضله على العلم والادب والتاريخ ، نلاحظ ان نزعة من الشح بعلمه كانت تعاوده وتراوده ، او تراوحه وتغاديه ولا تباعده ، وهو نفسه يتحدث عن ذلك حينما كان ينوه بكتابه « معجم الادباء » فيقول : « رآني جماعة من أهل العصر ، وقد نظمت لآلىء هذا الكتاب ، وابرزته في أبهى الحلى على ترائب الكعاب ، فاستحسنوه والتمسوه لينسخوه ، فوجدت في نفسي شحا عليهم ، وبخلا بعطف جيده اليهم ، لانه مني بمنزلة الروح من جسد الجبان ، والسوداوين من العين والجنان ، مع كوني غير راض لنفسي بذلك المنع ، ولا حامد لها على ذلك الصنيع، لكنها طبيعة عليها جبلت ، وسجية اليها جبرت ، حتى قلت فيه مع اعترافي بقلة بضاعتي في الشعر ، وعلمي بركاكة نظمي والنثر :

فكم قد حوى من فضل قول محبر ... ومن نثر مصقاع، ومن نظم ذي فهم
ومن خبر حلو طريف جمعته ... على قدم الايام للعرب والعجم
يرنح أعطافي اذا ما قرأته ... كما رنحت شربا بهبا ابنة الكرم
ولو أنني أنصفته في محبتي ... لجلدته جلدي ، وصندقته عظمي
عزيز على فضلي بالا أطيعه ... على بذله للطائفين على العلم
ولو أنني استطيع من فرط حبه ... لما زال من كفي ، ولا غاب عن كمي

ويعود ياقوت بعد قليل الى الحديث عن هذه النزعة ، فيذكر لنا سبب ضنه وشحه بهذا الكتاب، وكأنه يدافع بذلك عن نفسه ، ويسوغ تصرفه ، فيقول :

« واعلم أنني لو اعطيت حمر النعم وسودها ، ومقانب الملوك وبنودها ، لما سرني ان ينسب هذا الكتاب الى سواي ، وان يفوز بقصب سبقه الاي ، لما قاسيت في تحصيله من المشقة ، وطويت في تكميله من طول الشقة ، فانني علم الله لم اقف على باب أحد من العالم اجتديه ، ولا أحصي عدد ما وقفت على الابواب للفوائد التي فيه ، فلا غرو ان امنعه من متلمسيه ، واحجبه من الراغبين فيه » .

وكأن صاحبنا أحس بأن هذا الدفاع لا يكفي ولا يشفي ، وبأن هذا الشح منه ما زال في موطن العيب والذم ، فأعقب ما سبق باعترافه الصريح ان هذا الصنع منه غير حميد ، ولكنه عثر على سابقة سبقت من غيره تسوغ له عمله هنا في نظره ، فعاد يقول :

« على أني ما زلت أعاتب نفسي على هذا الصنيع ، وأعده من الامر الفظيع ، والخلق الشنيع ، الى ان وقفت على الكتاب الذي الفه محمد بن عبد الملك التاريخي في اخبار النحويين ، وقد قال في ديباجته :

ولم اقصد بهذا الكتاب لهوا ولا لعبا ، ولا سمحت نفسي ببذله ، ولا طابت بثه واخراجه ، الى غير أبي

الافـق

نزلت في جفونك الكحيله
كقطرة من المطر
كفرحة أطلقها العذاب والسهر
كنسمة حائرة بليله

وكنت يا حبيبتي أود لو آتيك مثل الطير
مرفرفا ، ينقر عند الفجر
شباك من يحب
يوقظها من نومها الطري
تدخله ابتسامة ناعسة من ثغرها الندي
يشرب منه مرة ، أو مرتين
ضحكتها الصبيه ،
فرحتها الحبيه ..
ونقرة ، أو نقرتين
في خدها المورد النقي !

وكنت يا حبيبتي أود لو آتيك مثل الطفل
يحمل في جفنيه دمع القهر
تاخذني يداك يا حبيبتي
لصدرك الحنون ...
وقبلة في ثغري المحزون
تجعل من أحزان روحي باقة من زهر ..
أخرج من يديك يا حبيبتي
ممتلئا بالرعب
مطهـرا بالحب .
وباحة المدرسة الكبيره
تضيق عن اجنحتي الصغيره !

لكننـي
نزلت في جفونك الكحيله
كقطرة وحيدة من المطر
كفرحة أثقلها العذاب والسهر
وكنت يا كحيلة العينين
كالافق البعيد
أراه عبر أملي
يمتد عند ناظري
لكنه ، يظل عني نائيا .. بعيد .. !!

حلب — صباح الدين كريدي

الحسين محمد بن عبد الرحمن الروزباري الكاتب أطـال الله بقاه ، فانه لي كما قال معاوية بن قرة في ابنه ايـاس بن معاوية ، وقد قيل له : كيف ابنك ؟. فقال : خيـر ابن ، كفاني أمر الدنيا وفرغني لامر الآخرة .

ثم قال : وما أحصى عدد من انقطع بيننا وبينه من اخوان في ردنا اياه عن هذا الكتاب .

فحينئذ خففت عن نفسي اللوم ، اذ كان التأسي من اخلاق القوم ، وعلمت أن النفوس بخيلـة بالنفـائس ، شحيحة بابراز العرائس .

هذا وانما يشتمل كتابه على ثلاث وعشرين ترجمة، نقلت زبدها الى هذا الكتاب ، فلم الام اذا اخفيته علـى طالبيه ، وحجبته عن خاطبيه . » ؟ .

ونحن نرى أن صاحب « معجم الادباء » قـد أطال الاعتذار عن شحه ، ولكن يبدو لنا ان السبب الحقيقي أو الاصلي أو الاهم لهذا الشح هو أن الكتاب حينئذ مـا زال مخطوطا لدى صاحبه في مسودته ، وهو يخشى ان أعاره لسواه أن تتسرب معلوماته الى من عداه ، ومـن يدري : لعل شيئا كثيرا او قليلا من الكتاب ينقله ناقل وينسبـه الى نفسه ، ويضيع على ياقوت ما بذله من وقت وجهد .

وياقوت ذاته قد ساق هذا المعنى في كلامه بعـد ذلك ، وان لم يصرح تصريحا واضحا بأنـه سبب الشح ، فقال : « وقد أقسمت الا اسمح باعارته ، مـا دام في مسودته ، لئلا يلح طالب بالتماسه ، ولا يكلفني ابرازه من كناسه حملهم منعي على احتذائه وتصنيف شرواه ، ومـا اظنهم يشقون غباره ، ويحسنون ترتيبه واسطاره ، وان وقفت لنظر الجميع ، فستعرف الضالع من الضليع .

فاذا هذبته ونقحته وبيضته ، فتمتع به ، فانه كتاب اسهرت لك فيه طرفي ، وانضيت في تحصيله طرفـي ، وقد حصلته عفوا ، وملكته صفوا ، فاجعل جائزتي دعاء يزكو غرسه عند ذي العرش ، واحمدني فـي بسطـه والفرش ، واذكرني فـي صالح دعائك ، فـرب دعوة صادفت اجابة ، ورمية حصلت اصابة » .

هذا وقد تتهيأ فيما يأتي فرصة تتم فيها الجولة .

القاهرة — احمد الشرباصي

القناع الشفاف

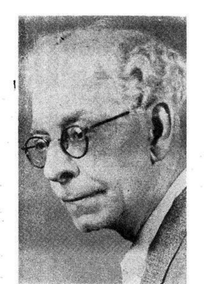
كل يوم يزاد عمري عمرا جددتني الايام حلوا ومرا
ملء صدري من الزمان حكايات رواها الحنين في الشوق جهرا
علمتني الدنيا الاناة فحفرت دروبي على المخاطر حفرا
أسأل الصخر.. أنت،من أنت يا صخر ؟! وامشي كأنني صرت صخرا
تلك رؤيا بعيدة الفور والترحال ، تطوي بحرا وتفتح بحرا
وتشد القلاع من قبل ان تقلع الريح ، وتسري مع المجاذيف سكرى
منية الضوء أن يهل به الصبح وأن ينزوي به الليل غمرا
يطفيء الماء شهوة الخمر في الخمر ويصحو من نشوة الخمر خمرا
والخريف الذي تململ في الارض اغترابا يمزق الروض هدرا
هو ذاك الربيع لفحه البرد وشقت ازاره الريح جرا
باح قلبي بما يبوح به الخصب وأمسى أمسي عتابا وعذرا
في جراحي مثل الشفاء ، وفي جوعي اكتفاء ، تخاله العين فقرا

يورق الغصن كل فصل فلا يحبس طيبا ولا يكاتم زهرا
مستمر ، أسخى من الزمن السمح واغنى من حكمة الفكر فكرا
تيبس الوردة الندية في الشمس وتحيا غب العشيات أخرى
يتفانى الفناء في هيكل النفس انتقاما يجتاح بالنفس ثأرا
لذة البوح في الشفاه على الصمت وضلع تحنو على الضلع حرى
ساءلتني عنك الصواري فلم اخبرها اني : سر يخبيء سرا

تنتشي جوارحي ليلة الدرب ويوما كانت لنا الدرب مسرى
عسعس الليل ، واستدار بنا الفيئ ، وخفنا من وطأة الحي امرا
وتسرى نبا العشي على الهمس وقامت بشرى تودع بشرى
سلم الشوق من بناك على القلب جناحا وفي المواعيد جسرا
انت عندي اليقين ، والخاتم المسحور ، والمنهل الذي صار بئرا
كلما خفت الضلوع الى الماء سمعنا في مدخل الدار نقرا
اي شيء يعيش في الدرج الصعب ويطوى طيا ، وينشر نشرا

طفحت كأسي الهَنية في بيتي وفاضت وليمة النفس يسرا
موسم تلو موسم ينتهي الشم ونبقى في خاطر العطر عطرا
نحن أنقى من الضياء اذا شئنا وأقوى من همة الصبر صبرا
فرحة العمر يوم يختصر العمر لقاء ، يلوي على الخصر خصرا
مرغي رأسك المكابر في صدري وخلي الزمان يطفر طفرا
قد كتبنا في قصة الود اوراقا ورحنا نشتم في النسخ حبرا
المفاتيح كالشفاه وهاتيك الاواني سطر يعانق سطرا
والاباريق لا تمل من السكب ولا ترتوي من العصر عصرا
ايقظتني عيني الى ورق الورد وقالت : .. وانت بالورد أدرى
بوركت لذة اللذائذ في بيتي وعاشت ذكرى تزاحم ذكرى

الياس خليل زخريا



ابراهيم المصري

جوركي او النزعة الانسانية في الادب

بمناسبة الذكرى المئوية لمولد جوركي عام ١٨٦٨

بقلم ابراهيم المصري

***

لا شك ان وسائل الحياة المادية متى كانت ميسرة ، فانها تعاون الانسان على حمل آلامه ، وتلطف من وطأتها عليه ، وتنقذه من التردي في هوة اليأس ، وتظل تضرم في نفسه شعلة الامل كائنا ما كان عذابه .

أما حياة الفقر والبؤس ، فتشل الارادة ، وتهدر الكرامة ، وقد تخنق وظائف العقل ، وتجعل من الانسان مخلوقا هائما شريدا ، يطارده الخوف ، ويهدده بالموت ان هو لم يعثر على كسرة الخبز .

وكذلك كانت حياة مكسيم جوركي . فقد انحدر من اسرة شعبية قاسى افرادها لوعة الحاجة ومرارة الحرمان ، وعاش منذ نعومة اظفاره يتيما . فلم يتعلم ، ولم يتثقف ، ولم يأكل يوما كفايته . فتعذب في جسده وفي روحه عذابا حانقا مريرا .

كان يحس ان قوة خارقة تتقد في ذهنه ، وعالما رائعا يصطخب في خياله ، وان القدر لو حباه بشيء من اليسر والراحة والقدرة على التثقف ، ففي وسعه ان يكتب ويبدع ، وينقع غلة روحه المتطلعة المتلهفة الظمأى . ولكن فقره كان يكبله ، وجهله كان يثيره ، وخوفه من الموت المتربص به كان يدفعه الى احتراف اوضع المهن سعيا وراء لقمة العيش .

فالصراع بين الحلم والواقع ، بين الغاية والضرورة ، بين حوافز الفكر ومطالب البدن ، كان يسمم حياته ايام صباه ، ويؤرجحه بين التخاذل والكفاح ، بين اليأس والأمل ، بين استمراء الخمول والاندفاع نحو التفوق .

على ان صدق ايمانه بنبوغه ، وعمق احساسه بمواهبه ، وشدة عذابه باختناق تلك المواهب في نفسه وعجزها عن الانطلاق ، هذه العوامل ساقته الى احتمال الالم في صبر ، والى عشق المجاهدة في عناد ، والى التنقل من مهنة الى مهنة في جلد عجيب ، عساه ان يظفر بعمل لا يستنزف قواه ، ويتيح له بين وقت وآخر ولو بضع ساعات ينفقها في المطالعة والتثقف والتأمل والتفكير .

وهكذا اشتغل اسكافيا ، وبستانيا ، وطباخا ، ورسام ايقونات مقدسة ، وخبازا في احد الافران .

وعلى ظهر الفرن بعد ان تطفأ ناره ويجن الليل ، كان جوركي ينبطح ويوقد شمعة ، ثم يشرع في مطالعة اعمال كبار الادباء والقصصيين ، ولا سيما « بلزاك » الذي كان يخلب لبه ، ويملك عليه قلبه وحواسه ، ويلقي به في دنيا من الابطال المتطلعين ابدا الى التفوق ، السابحين في عالم زاخر بالآمال والافراح والاشواك والدموع .

بيد انه لم يشأ ان يقلد بلزاك ، ولم يكن في مقدوره ان يطاول بلزاك ، وكان من المحال عليه وهو البائس المنكود صبي الفران ان يعرف الحياة بمختلف اوساطها وطبقاتها كما عرفها بلزاك . فاراد على الاقل ان يزداد معرفة بالشعب الذي قدر عليه ان يكون فردا منه . اراد ان يندمج فيه ما استطاع . ان يسدد اليه وحده قوى عقله الواعي ، وذهنه المتنبه ، واحساسه المرهف ، وقدرته الخارقة على الملاحظة والالتقاط والتصوير ، بحيث يبدع ادبا مستقلا عن ادب بلزاك وغيره ، ادبا ينبع من ذاته وبيئته وصفوة اختباراته وتجاربه ، ويكون ادبا شعبيا انسانيا اصيلا ، يسجل الوان الخوف والجوع والمرض والجهل والتشرد والتدهور ، ومختلف صور الالم البشري الماثلة في حياة الشعب الكادح الصابر المسكين .

ولكي يجرب ايضا ويختبر ، ويضاعف اتصاله بالشعب ، وينزل على حكم النزعة البوهيمية الحرة المتمكنة منه والمتأصلة فيه ، ترك مهنة الخباز ، واشتغل نجارا ، وبائعا متجولا ، وحمالا في الموانيء ، ومراقبا لحواجز القطارات . فخالط كل وسط شعبي ، وتشربت روحه روح الشعب . فاعتزم عندئذ ان يصورها .

فاندفع يكتب وهو ما يفتأ يطالع ويتأمل ويتزود من الاعمال الادبية العظيمة بما يوافق طبعه ويتفق وميوله

ويمكن أن يعاونه على ابداع فنه الخاص وادبه المستقل .

وهنا وقعت لجوركي مأساة فكرية وعاطفية ، استبدت به واوشك تحت تأثيرها ان ينحرف عن طريقه ويتنكر لرسالته .

اولع فجأة بالمفكر الشاعر الالماني «فردريك نيتشه»، وبتعاليمه القائمة على احتقار المحبة ، وكره الرحمة ، والاشادة بفضائل القوة ، وتمجيد الطبقة الارستقراطية ، والدعوة الى تعزيز مكانتها ونفوذها على حساب الشعب باعتبار انها هي منبع الفكر ، ومصدر الثقافة ، وحافز التقدم والمدنية .

هذه التعاليم اشاعت في نفسه الشك في اتجاهه ، والارتياب في قيمة رسالته . فسيطرت فترة عليه ، ودفعته الى القيام بتجربة عاطفية غريبة راحت ضحيتها فتاة ساذجة وطاهرة .

احب جوركي تلك الفتاة ، واراد ان يمتحن قوته عليها ، وان يطبق تعاليم نيتشه على اخلاقها وسلوكها ، فتغيرت الفتاة بالفعل ، وغلظ قلبها ، وتحجرت عواطفها، وتقلصت منها تلك الطيبة الصافية الساحرة التي كانت مبعث جمالها وسر فتنتها .

فبدل ان يعجب جوركي بها ، هاله تبدلها . فاستيقظت فيه روحه الشعبية الاصيلة . فكره في الفتاة الانسان الجديد الذي رسمه عقله ، ولعن فيها النزعة الشاذة الاثيمة التي اولع بها خياله . فصد عنها . فارتاعت المسكينة وتشبثت به . ولكنه امعن في صدها ، وفر منها . فتحطمت احلامها فودعت الحياة ودخلت الدير .

هذه المأساة التي رزح جوركي تحت وطأتها زمنا طويلا ، نبهت عقله ، والهبت ضميره ، وضاعفت ايمانه بقيمة المحبة والرحمة ، وعادت به الى الشعب اعمق ما يكون حبا له ، واصدق ما يكون تعلقا به ، وابلغ ما يكون رغبة في التكفير عن ذنبه بالتفاني في خدمته والاخلاص له.

وراح يعيش ويكتب مصورا آلام اخوانه من التعساء والمحرومين والمتسكعين والمتشردين . فابدع قصته الاولى « شالكاس » ، التي لم تكد تظهر حتى استفاضت شهرتها ، وهلل النقاد لصاحبها الذي استطاع ان يخلق فنا شعبيا جديدا ، لا شبهة عليه من المحاكاة والتقليد ، ولا اثر فيه من فن تولستوي او دستويفسكي او اي اديب اوروبي .

وكان فن جوركي هو التعبير الصريح الواضح المباشر عن شعوره الخاص بالحياة ورؤياه المستقلة عنها. فهو يصور ما يراه تصويرا موضوعيا وذاتيا في الوقت نفسه ، بمعنى انه وهو يرسم اشخاصه رسما واقعيا مجردا ، ينفعل بهم وبكل ما يصدر عنهم . فيؤثر انفعاله في اسلوبه ويخلع عليه حرارة متقدة تضاعف اقتناعنا بصدق العواطف والاهواء التي تجيش بها نفوس اشخاصه . ثم هو فوق ذلك لا يرسم اشخاصه في حياتهم اليومية العادية فحسب ، بل يقحمهم في ورطة او ازمة او مأساة ، كي يبرز لنا اولئك المتشردين المساكين في اللحظات التي تتحرك فيها ارواحهم ، وتستفيق ضمائرهم ، وتضطرم جذوة الانسانية الراقدة في اعماق قلوبهم تحت رماد البؤس والشقاء . وعندئذ نراهم وقد التمعت فيهم اضواء فكرية ووجدانية رائعة ، ينطقون بكلمات تكشف عن اخفى جوانب الحياة ، ويقومون باعمال لا يقوم بها اوفر الناس طيبة وفضيلة فنبهت نحن لاعمالهم واقوالهم ، ونذهل لتلك الاضواء المعنوية التي شعت بغتة منهم . فنحس ان اعمالهم واضواء قلوبهم قد سكبت عليهم حلة من الشعر الفاتن ، تبعث في نفوسنا مزيجا غريبا من الشفقة عليهم والاعجاب بهم .

واليك امثلة من موضوعات قصصه ما زلت اذكرها:

كان فيليب معلم صبية ثم فصل من وظيفته بسبب اهمال صدر عنه بالرغم منه . فتشرد واحترف شتى المهن . ولكنه لم يصب منها ولو بعض اليُسر الذي كان ينشده . فتدهور وانحط واصبح سكيرا مدمنا . بيد انه رغم تدهوره وانحطاطه احس انه ما يزال يحن الى تلاميذه الاطفال . فلكي يوقظ في كيانه جوهر طبيعته ويرد اعتباره الى نفسه ، شرع يقاوم رذيلته ، وينفق على الخمر جزءا مما يربح ، ويشتري بالجزء الآخر خبزا وبيضا وتفاحا، يوزعها على البؤساء من الاطفال والصبية، في تحفظ منكمش ، وتواضع عميق ، وصمت مطلق ، كأنه كان يخشى لو تحدث الى الاطفال عن هباته ان يشعرهم بفضله عليهم ، فيذل نفوسهم الطاهرة ، ويضاعف احساسهم بشقائهم ، ويجردهم من فضائل العزة والكرامة والاباء ...

فهذه التضحية البليغة في صمتها ، السامية في انكماشها وتواضعها ، هي جوهر النبل الذي كان مستخفيا في نفس فيليب ، والذي استيقظ فيه بالرغم منه ، فرفعه فجأة من سكير الى انسان .

وفي قصة اخرى يرسم لنا جوركي صورة كاهن تبرم بخدمة الله ، وخرج على الكنيسة ، وتشرد هو الآخر وانحط واستحال الى سكير وزير نساء . ولكنه لفرط شعوره بانحطاطه وحنينه الى الحياة الروحية التي تنكر لها والتي تخلف تأثيرها في فكره ووجدانه ، اندفع يرقص رقصات مرتجلة ومخبولة ، ويقص على رفاقه المتشردين قصصا ملفقة غريبة الحوادث ، يحاول ما استطاع ان يجعل ابطالها من الكهنة المارقين امثاله كي يبرر بها مسلكه ومروقه . ثم يتنبه بغتة ، ويعز عليه ان يلوث ماضيه وان ينتهك حرمة الحياة الروحية التي كان قد تعلق بها . فيسرع ويلفق قصصا اخرى عن الجنة والقديسين والاولياء والكهنة المثاليين ، يسردها في حرارة

الغد الأعمى

غـدا يزورني
غـدا
ليت غدا لا يطلع
ليت غدا لامسه
بـلا عيون يرجع
ماذا يرى لو زارني من فتنة تشعشع
أصابعا معروقة
ونظرة تستطلع ،
ووجنة ذابلة :
وضحكة تصطنع ؟
وفقرات قد حناها من صباها الوجع ،
ومجهدا في الصدر
لا يدري لمـاذا يسرع ،
وعتمة لا شي غير الشيب فيها يلمع ؟
يحب روحي !
أي روح في طعام تشفع ؟
مواهبي ؟
وكتب الشعر ألوفا تطبع
ما قيمة الذكاء في النساء
ماذا ينفع ؟
أي الاحاديث غدا بذكرها يستمتع !
الحـب ؟
من أي فم ؟ وأي أذن تسمع ؟
الامنيـات ؟
أينها ؟ دنيا الاماني بلقع .
الذكريات ؟
أفلس التاجر اذ يسترجع .
الموت والامراض ؟
يا بئس الحديث المفجع .
كنت اذا ما زارنا سوسنة تضوع
وروضة تخضل من رش الحيا وتينع
كنت اندفاع الريح ، لا تدري لماذا تخضع
اذا تراءى ظله
فقبل ظلي أهرع .
وها أنـا اليوم
ألوذ بالدجى وافزع
تبطيء رجلاي اذ الباب به من يقرع
وتعتريني حيرة ،
فـلا أعي ما أصنع
وتسخر المرآة من وجهي ولا تشجع .
ذاكرتي فتتها الوهن
فما تستجمع
فلا حديثي شيق
ولا حواري مقنع
ورقتي خشونة
وسخرياتي تلذع .
ماذا يرى غدا اذا زار
ومـاذا يصنع
بقية من عطفه بعد غد ستنتزع
سيرجع المشوق مخذولا
وقد لا يرجع .
غـدا يزورني
غـدا
ليت غدا .. لا يطلع .

بغداد — لميعة عباس عمارة

وحماسة وهو يبكي حسرة علـى نفسه وعلى الجانب الروحي من ذاته الذي ارتمى في لجة الاثم وضاع فـي بؤرة الخمر والشهوات .

فعذاب الجسد البائس المتشرد ، وعذاب الضميـر بما ارتكب من آثام ، وعذاب الروح بحنينها الى عالم مبهم من الطهر والصفاء والكمال ، هذه العذابات يحسها معظم ابطال جوركي ، ونشاركهم نحن فيها ، ونشعر انهم برغم فقرهم وجهلهم وبؤسهم مخلوقات بشرية مثلنـا ، يسري عليهم ما يمكن ان يسري فـي اية لحظة علينا . فنحبهم ، ونتألم لآلامهم ، ونشعر اننـا بالجسد والفكر والـروح اخوة لهم .

ففن جوركي هو فن التضامن البشري . هو شعور الفنان بعاطفة اخاء انسانية شاملة مقدسة، تحطم الفوارق بين الغني والفقير ، وتجمع بين الناس جميعا فـي ظـل السماحة والرحمة والمحبة والعدل .

القاهرة — ابراهيم المصري

تناولت الخطاب في لهفة، وأسرعت به الى غرفتها. انكفأت على فراشها وحيدة مع الخطاب. تأملته لحظات وانتشت بمرآه. ظلت تتفحصه وصدرها يزغرد بالفرح ويشدو بالشوق والحنين. انها تريد ان تنعم بلذة التأمل، وتطيل من سعادتها ونشوتها. فالخطاب جاءها اليوم بعد ان انتظرته طويلا. كانت تعد الايام والليالي، وتحسب ساعات الفراق، دون ان تكل او تتعب .. يحفزها الى ذلك أمل وصول خطاب منه.

واليوم، وصل الخطاب .. فعادت الفرحة، واستطارها الشوق ..

فتحت الخطاب في تأن وقلبها ينبض نبضات مشتاق خائف .. فهي في دوامة من الاشتياق والخوف معا، حقا هي مشتاقة الى كل كلمة في رسالته، لكنها ايضا تخاف ان يكون مقتضب العبارة فيخيب أملها الذي عاشته بكل مشاعرها.

فضت الرسالة، وراحت في غيبوبة معه، مع الذي اعطته قلبها وعمرها.

« عزيزتي آمال ...

قبل كل شيء، اعتذر عن تأخري في الكتابة طول هذه المدة، فالوقت لا يسعفني، والموقف ليس بيدي أمره. وان النجوم لتشهد على اني اختلس لكتابة هذهالسطور الوقت المخصص لنومي، فعذرا يا آمال.

عزيزتي ...

كم كان بودي لو اظل اكتب حتى يطلع فجر اليوم الجديد. لكني اضطر الى انهاء الرسالة لاشرف على مهام فرقتي، استعدادا لمعركة حاسمة سنخوضها في مطلع الصباح. واني أبث هذه الرسالة شوقي وحنيني، كما احسدها لان انامك الرقيقة سوف تلمسها. لقد قبلت الرسالة عساها تقوم هي بتقبيل انامك عوضا عني.

انت معي دائما، دائما .. في صحوي ونومي، في نهاري وليلي، في قوتي وضعفي .. وانت الروح التي تحمسني للقتال، وتستثيرني لخوض المعارك .. وانت الحياة التي اعيشها، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان نابضة معبرة.

ترى ... ماذا أنا بالنسبة اليك؟
والى اللقاء .. او وداعا ..
المخلص: سامي احمد »

اشبعت الرسالة تقبيلا، واعادت قراءتها مرارا .. الى ان فاجأتها أختها ثريا، فعجبت من أمرها، فلم تكن تجد مبررا لاختها في مثل



بقلم حسني سيد لبيب

هذا التصرف. نظرت اليها آمال وقالت بصوت حاد:

ـ انه حي ... يعيش ...

وصمتت قليلا، ثم قالت لاختها:

ـ اتدرين يا ثريا ما يقوله في الرسالة .. انه يقول: « ترى .. ماذا أنا بالنسبة اليك؟ » .. الا يدري؟ .. انه الحياة.

احست ثريا بحنان جارف، وبدأت تتجاوب مع أحاسيسها الرائعة وشاركتها فرحتها الجنونية بالخطاب:

ـ اتسمحين لي بقراءة الرسالة؟

اعطتها الرسالة، وظلت تترقب



ساهمة كأنها تسألها: « ما رأيك؟! .. » . أسهمت ثريا قليلا بعد قراءة الرسالة ثم قالت:

ـ لكنه لم يشر الى موعد عودته؟

قالت آمال في انفعال:

ـ ماذا تريدين منه؟ .. أيرجع ويترك ارض المعركة؟ .. تكفيني منه هذه الرسالة، التي طمأنتني بأنه حي، وبأنه سيرجع الي يوما .. قد يرجع غدا او بعد غد .. المهم ان يوما ما سنلتقي.

خرجت ثريا، وظلت آمال وحيدة مع رسالته تعيد قراءتها، ثم اسرعت الى صورته التي تحتفظ بها في احد ادراج دولابها الخاص، وضعتها نصب عينيها واحتضنتها في شوق. ظلت تتأمله في زيه العسكري المهيب، ورأسه ترتفع الى اعلى في قوة وثبات حتى كادت تعتقد انه لا يقدر على كتابة مثل هذه الرسالة الرقيقة، فملامح الصورة جامدة قوية .. لكن صورة اخرى حية ترتسم في خيالها وتنطبع في ذاكرتها، انها صورته حين التقت به، وتحدثت معه .. كان حلو الحديث، عذب الصوت .. في صوته قوة وثقة، وفيه رقة وعذوبة. كانت تنجذب الى حديثه مشدوهة، حتى انها تتلعثم حين يجيء دورها في الحديث، فيخرجها من ورطتها بابتسامة حانية تعيد لوجهها ماء الحياة.

كان لقاؤهما الاول في نادي الضباط. وفي هذا اللقاء تبادلا نظرات الاعجاب، وبضع كلمات هامسة، فوجدت فيه الرجل الذي تبحث عنه .. ضابط شاب وسيم، فيه رقة الطباع ودماثة الخلق مع قوة العزيمة وثبات المبدأ! .. هذه الصفات كلها اجتمعت فيه وكونت منه رجلا تعجب به وتميل اليه.

اما هو، فد كان يختزن لها في اعماقه صورة مضيئة لامرأة متفتحة واعية.

تعددت لقاءاتهما التي تجيء غالبا

من تدبيرهما واصرارهما على اللقاء .. والعجيب انهما في كل لقاء يتعجبان من الصدفة التي جعلتهما يلتقيان مرة اخرى ، والصدفة مظلومة بينهما ، وليس لها يد في حالهما .. وانما يندفعان الى اللقاء، ويتدبران امره ... وكأن دنياها تنتهي عند رجل اسمه سامي ، وكأن دنياه تنتهي عند امراة اسمها آمال .

وتمت الخطبة بالسرعة التي تبادلا بها الاعجاب ، وبدا الحب يغزو قلبيهما .

وتذكر آمال يوم ودعها وذهب الى الجبهة ، بكت في تلك اللحظة بكاء حادا لم تبك مثله من قبل ، وكادت تفقد وعيها أمامه لولا بعض من الشجاعة .

وذهب ... ذهب ليحارب ... ذهب وفي جيبه مصحف مذهب أعطته له أمه ليتذكرها دائما وهو بعيد عنها ، وصورة لآمال احتفظ بها كي يبثها شوقه كلما استبد به الحنين .

مصحف وصورة ... ذهبا معه الى هناك ، وتركها وحيدة مع صورته التي تحتفظ بها في درج دولابها الخاص ، تبثها هي الاخرى مواجعها كلما حنت اليه واستقرها الحنين لمرآه . ظلت آمال وحيدة مع صورته ، ومع أمل وصول خطاب منه كما وعدها .

وتمضي الايام فتحس بثقلها ، وكأن بينها وبينه عمرا طويلا يكاد يفرقهما ويخيب املهما الوضاء في حياة حلوة سعيدة .

فيا لها من فرحة ، ويا له من شوق !.. ان آمال التي اكتأب صدرها بثقل ايام الفراق ، قد تبدلت وتغيرت تماما .. في لحظة حاسمة تغير كل شيء وتبدل ، فاذا بالفرحة تعم كيانها ، واذا بالشوق يفيض نبضات حية في عروقها .. حدث هذا كله وقتما تسلمت الخطاب من موزع البريد .

داخت وسائد الفراش بالخطاب، واهتاجت له أساريرها . وفي المساء ، جلست في صمت الليل تكتب له رسالة طويلة . كتبت له كل شيء ، انتقت كل كلمة حلوة ، وعبرت عن كل معنى رقيق ، وبذلت كل ما في وسعها كي تدخل البهجة الى قلبه ، وفي قرارة نفسها احساس بالزهو والخيلاء لخطيبها، ذلك الضابط الشاب الذي يشارك في صنع غد افضل ومستقبل ازهى .

لم تكتف بكتابة الرسالة ، وانما طافت بها على افراد اسرتها وصديقاتها ، تطالعها وتسمع الآراء المختلفة فيها . حين طالعتها لامها ، تعجبت الام من هذه العاطفة الجياشة التي واتت ابنتها ، وأملت عليها هذه الرسالة النابضة بأرق العواطف ، الناطقة بأسمى الاحاسيس .. قالت لها :

ـ عجبا !... لم تتركي للشعراء شيئا يقولونه !!..

وعلقت اختها على الرسالة :

ـ اتظنين ان الوقت يسمح له بقراءة هذا « العرض حال » الضخم ؟.

ـ اعتقد هذا ... لن يترك كلمة واحدة من الرسالة .

وذات ليلة ...

رأته في نومها يرتدي بذلة الميدان ويمسك مدفعه بقوة وصلابة ، يحصد به الاعداء فيتساقطون اشلاء ، ويبرز هو كالعملاق ، تتفصد من جبينه حبات العرق فلا يعبأ بها ، ولا تضجره شدة الحرارة ، او وعورة المنطقة .. ثم اذا بها ترى عجوزا يبدو عليها الاجهاد .. رأتها تقترب منه وتسأله :

« أمعك ماء ؟.. » .

فينظر الى الوعاء الذي معه ، فلا يجد فيه الا النذر اليسير ، فيعطيها الوعاء وهو يأسف :

« آسف يا سيدتي ، لا املك غير هذه الكمية » .

وتشرب العجوز الماء ، فتشعر براحة وتسترد أنفاسها المجهدة .. فتقول له :

« اخذت ماءك كله ... » .

« لا عليك من هذا .. فان حياتنا رواء لهذه الارض » .

نزهو آمال بصورته الماثلة ، فتناديه لكنها لا يكاد يسمع هذا النداء وكأنه صادر من بئر عميقة ، او من هوة سحيقة . أما هو ، فواقف في مكانه يرقب جحافل العدو وهي تتقدم ناحيته ، فيأمر جنوده بالتقدم ، ثم لا تلبث صورته ان تختفي وتضيع وسط زحف جنود لا تحصى لهم عددا .. ثم سرعان ما تختفي صورة الجنود ايضا خلف ستار كثيف من الدخان الذي يتبدد وتخف حدته فترى الجنود امام ناظريها اشباحا متحركة . وفجأة .. ينخلع قلبها لصوت صرخة آلمت أذنيها فجرت لاهثة تبحث عن مصدر الصرخة ، ثم اذا بها امام رجل قد سقط جريحا . انه هو .. سقط بطلا شجاعا كعهدها به دائما، سقط والمدفع في يده . جلست بجانبه وبحثت عن موضع الجرح حائرة لا تدري ماذا تفعل !..

تيقظت من نومها مذعورة ، فوجدت يدها ما زالت ممسكة بالرسالة ، فلم تتمالك نفسها ، وانخرطت في بكاء مر فسقطت قطرات من الدموع على الرسالة فضيعت معالم بعض حروفها .. واخذت تسترجع الحلم ثانية في الم ، واستبدت بفكرها الهواجس والوساوس ، واخذت تردد : « أيمكن ان يحدث شيء من هذا ؟!.. » . لكنها ابعدت هذه الوساوس البغيضة وتلك الهواجس التشاؤمية .

ظل القلق يلازمها منذ هذه الليلة، وباتت ترتقب عودته في صبر نافد . وتغير الموقف من فرحة جنونية برسالته الى ترقب قلق

ليوم عودته . اجل .. متى يعود ؟! .. هذا السؤال لم يخطر على بالها من قبل ، بات يقلقها هذه الايام ، فلا تهنأ بنوم او بقظة ، وتبدلت حالها .. فاكتأب صدرها ، واكفهرت ملامحها ، ووجف قلبها ، وعم كيانها الحزن الصامت. لاحظت ثريا ذلك ، فقالت لها :

— هدئي من روعك ، ان الامر لا يستحق كل هذا الحزن .. انه سيرجع من ساحة القتال ، ويا حظك السعيد الذي سيجعلك زوجة بطل !.

لكن آمال لا ترتاح او تهدأ ، ولم تستطع الكلمات ان تطيب خاطرها وترجعها الى سابق عهدها .. مشرقة .. فرحة .. وسعيدة ..

وتأزم الموقف بتعاقب الايام دون ان يصلها خطاب منه . واصبح كل يوم يجيء خنجرا يؤلم صدرها ويثخنه بالجراح ويدميه بالآلام . فلا استطابت لها حياة ، ولا استلذ لها عيش ، ولا عرفت طعم الهناء . ذبلت آمال ، تلك الوردة التي اطرى سامي جمالها ، وحبذ عطرها .. باتت اليوم وردة ذابلة وكأنها في خريف العمر .. لا جمال ، ولا عطر ..

خيب موزع البريد املها ، واضجرتها الاحلام المزعجة في الليل ، واقلقتها الوساوس التشاؤمية في النهار .. تحولت أيامها الى جحيم ، وانطوت في غرفتها لا تخرج منها الا للضرورة ، ولم تعد تنتظر موزع البريد او تفرح لقدومه .. فلقد فقدت الامل في وصول خطاب منه ، وباءت بالفشل محاولات اختها ووالديها في تهدئة خاطرها وتطييبها بالتفاؤل والرجاء .

وفي يوم... دخلت ثريا غرفتها في فرحة ولهفة ، وفي يدها خطاب ام تتبينه آمال ، لكنها افاقت على صوت اختها الضاحك :

— خطاب منه ...

صرخت آمال وهي تلتفت ناحية اختها :

— منه ! ...

اختطفت الخطاب وفضته ، وقرات سطوره ... واذا الموقف يتغير تماما ، ويشرق محياها ، وينبض قلبها المرهف نبضات حية زاخرة بالامل المتجدد ، والحب العائد . واستوقفتها عبارته الاخيرة : « ترى ... ماذا انا بالنسبة اليك؟! ...» . وصاحت:

— انه يعيش ... انه حي ..

ابتسمت ثريا ، واعقبت :

— انه يريدك ان تحافظي على العهد وتذكريه حتى يعود ؟.. انه يقول : « ترى... ماذا انا بالنسبة اليك ؟!... » . انها نفس العبارة التي قالها في رسالته الاولى . انه يريدك ان تذكريه حتى يعود .

قالت آمال :

— سأظل أذكره دائما ، دائما .. انه حي ... حي ... الا تدرين قيمة الحياة ؟!.

— هذه اجمل ذكرى ..

وتفتحت الوردة ، وفاح عطرها فأسعدت البيت كله ، وملأته مرحا وهناء .. ولم تفقد آمال املها في عودته ، ورغم ان احلاما مزعجة تراودها من وقت لآخر .. الا انها وطدت العزم على عدم الاستجابة لها ، فان رسالته الثانية قد قطعت الشك باليقين ، وعرفت منها ان الظروف لا تتيح له ان يكتب لها.. لكنه أثلج صدرها بما في العودة من بهجة واستقرار .

عادها الشوق ، واستبد بها الحنين ...

ظلت تترقب يوم عودته . تحسب ما مضى على فراقه ، وتخمن ما تبقى من ايام على لقائه. تفاءلت ، وعمر قلبها بالشوق وفاض بالسعادة. لكن ثريا فاجأتها ذات يوم بما لم تكن تتوقعه او تعمل له حسابا، فقد دخلت غرفتها وهي تحاول ان تتجلد وتتماسك ، وقالت والدموع في عينيها والصوت يكاد ينحبس في حلقها :

— لن يجيء ...

صعقت آمال وهالها الموقف . نظرت الى اختها تتيقن — في شبه ذهول — من حقيقة ما قالت .. ثم صرخت :

— لا .. لا .. سيجيء ..

قالت ثريا في عنف :

— قلت لك لن يجيء ، تأكدي.. واريحي نفسك من هذه الاحلام .

وصمتت ...

اخذت تلاحظ حال أختها ، ثم قالت لها في حنان جارف :

— لن يجيء ... ولكن !.. هو الحياة يا أختي .

وارتمت في حضن اختها ، والدموع تفيض من عينيها .

★

بدات آمال تفكر في ان تصنع شيئا من أجل الحياة ، لا بد ان تعمل .. لا بد ان تتفانى في عمل ما ! ..

اشتغلت آمال بالصحافة ، وصورته لا تفارق مخيلتها ابدا ..

القاهرة **حسني سيد لبيب**

الى طفل الامس

•

فؤاد الخشن

•

الشويفات — لبنان



لا تصدق ما يقول الناس
او ما يدعون
انهم ، فيما لتضليل ، وزور يرسمون
جبناء خادعون
ان للانسان في هذا الزمان
وجهه الثاني المخبأ
فاحمل الريبة ضوءا
وخذ القول كاشراقة فجر ،
كبدايــة
اول الخيط الذي يوصل بالحدس
الى حيث النهاية
لترى واقعهم اين ...
وما صور او حاك اللسان !

انت في شكك ، يا ابن الصحو ،
في اشقى جحيم
ترشف السهد وتشتف ثمالات الهموم
بعدما كنت بايمانك في احلى نعيم
تحسب الدنيا كدنياك ، طفولات
وصدقا ، وصفاء
يا غفيا بدد الوعي رؤاك
لا تغــال
باعتناق الشك في كل مجال
انني بالمعول الهادم ، بالحقد اراك
حافرا ما بينك الآن وبين الناس هوه
قاطعا خيط الاخوه !

ربما فجر هذا الشك
من جدبك خصبا
كاسرا قوقعة الذات ، ووهما
كان للناس ، لكل الناس حبا
جرعة تعطى من الاعراق سكبا ...
لا تجدف ... واشكر الشك الذي
حرك الاعماق والعقل الغفيا
فاتحا بالضوء باب الرفض
والحدس الغنيا
انه الاطلالة الاحلى على دنيا جديده
ويد تحفر في الاعماق اغوارا بعيده !

تجاه جديد في الرواية المعاصرة

بقلم الدكتور بديع حقي

***

الحرب العالمية الثانية ، تسدل ستارها الناري المضطرم ، واصداء المدافع ما زالت تحشرج ، هنا وهناك ، في انحاء العالم ، بفيضة مقيتة . ووميض قنبلة « هيروشيما » لم **يخب بعد على الافق الاسيوي ، انه ما يني يلخص في** اتقاده والقه ، عبقرية العلم الفذ وعبقرية الهمجية **السخيمة والحقد . لقد تحطمت الذرة ،وتحطمت معها** كثير من المثل الخلقية التي كانت تشرف الانسان وتهديه.

ها هي ذي المعتقلات ، تلفظ وجوها كالحة تشي بالمرارة والالم . ويقف الاديب في العالم كله ، بعد ان قر الاعصار وخمد ، قلقا ، تائها ، حائرا .

ولعل الاديب القصصي ، ان يكون خير شاهد على عصره . انه يعرف كيف يجمد الرعب ، ويستنزل الغضب ويثير الحزن ويصف الدمعة الصافية المرة ، **تمجها العين المؤرقة المقروحة .**

ان الاساليب المطروقة في التعبير لم تعد ترضيه **وتقنعه ، فقد برم بالزفرات** والآهات والعبرات التي نضحتها الرومانتيكية في مدى قرن من الزمن ، وضاق ذرعا بالتحليل النفسي الدقيق الذي بسطته الروايات **الجافة الرتيبة، ومل الواقعية العقيم التي ترودشخصياتها** في مضطرب الحياة ، كالاشباح الهائمة المشردة .

وقد اتسق له ان يجد في قمم الرواية العالمية ، في روايات دستويفسكي وبروست وجويس ما يرضي ذوقه الادبي المرهف ، ولكنه لم يجد فيها ما ينقع ظمأه المتصل المتقد ، ما يرضي قلقه وتمرده ، ما يلبي تشوفه لا الى الكمال ــ فقد التاثت معالم الكمال لديه ــ بل الى الجديد الذي يثير تطلعه واستغرابه .

وفي فرنسا الجريح المكلومة اثر حرب طويلة ضروس ، فرنسا المغلوبة الغالبة ، فرنسا الممزقة ، الذليلة الابية هناك حيث تنساق تيارات الفكر الانساني ، لتحتدم وتمور وتشع وتنضج ، هناك حيث تصطرع اساليب التعبير الفني والادبي ثم تلتئم وتمتزج ويرفد بعضها بعضا ، كان لا بد من ان ينبجس اسلوب بله اساليب جديدة طريفة ، تشد اليها العيون المتطلعة الظمأى .

واتت فلسفة « البير كامو » في العبث ، لتزجي الى الانسان المضيع الممزق الحائر ، غذاء سائغا ، تسكت جوعه الفكري ، بيد انها تسلمه في رحلته اللامعقولة الى النقطة التي منها بدأ . ان « سيزيف » بطل اسطورة العبث ، لم يقدم الى الانسان حلا ايجابيا مرضيا ، فيما كان ينقل على كتفه المهدودة المتعبة، صخرته الثقيلة ، من السفح الى القمة ، ليرى اليها تفلت من يديه ، وتدهدى وتتطامن الى السفح ثم يؤوب اليها ، ليحملها مرة اخرى، حتى اذا شارف بها القمة ، تملست من راحته ، وانهدت، **تلاحقها نظراته الاسيفة الحسيرة .**

اجل . لقد كان النور الذي أراقه « كامو » في رواياته ومسرحياته ودراساته ، ليحسر عن معنى العبث الكامن في الوجود ــ كان هذا النور باردا أسود . وبموت كامو ، وهو في أوج نضجه الفكري والادبي ، في حادث اصطدام سيارة ، تختتم فلسفة العبث معناها المؤسي المفجع .

وتتململ أساليب شتى وتتحدر من هنا وهناك ، كجداول تتفطر من نبع زاخر يتفجر ماء وبركة وحياة وكان على جدول من جدول من هذه الجداول ان يقتحم السواقي الصغيرة ويضمها اليه ، ليطرد في منسوح النظر ، جدولا تياها ، جياشا ، زاخرا .

وكذلك ترقرق جدول الرواية الحديثة الجديد في البدء حيبا متواضعا ، تكاد تقتحمه العين ، وتنأى عنه الشفة اللاغبة الظمأى ، لانها تعودت ان ترتشف من ينابيع اخرى مألوفة ، ولكنه لم يلبث ان امتلأ وفاض ولفت النظر اليه واجتذب الشفاه المتمنعة ، لتجد فيه ريا وظلا رطيبا .

ان الرواية التقليدية، مهما يكن اسلوبها ، رومانتيكيا او واقعيا او رمزيا ، تتكىء على شخصيات انسانية او خيالية تلعب في مضطربها ، فتسعد وتشقى ، وتحيا وتموت ، ضمن اطار من الاشياء ، لا يحتل من الرواية ، مكانا ظاهرا ، او هو يحتل مركزا ثانويا يضفي عليها بعض الظلال الموضحة . اما الرواية الحديثة ، الجديدة ، فتقلب **هذا النظام ــ انها تولي اطار الاشياء اهتمامها وجهدها** وتجعله جذع عنايتها ، وتلوي نظرها عن الشخصيات الانسانية التي كانت ، من قبل ، مناط الجهد والابتكار ، لتضحي زائلة ، مفتتة ، مسحوقة ، حين توضع في قرن واحد مع الاشياء الثابتة المحيطة بها ، او لتضحي ، في الواقع ، تابعة لها لاحقة بها . ولئن امحت في الرواية الجديدة الشخصية الانسانية وغامت ، فان عين الكاتب التي تصف وتصور وتسجل هي عين انسانية . الانسان ، اذن ، جاثم متربص خلف هذه الاشياء .

لقد بدأ « دستويفسكي » في روايته « الجريمة والعقاب » فوصف غرفة المرابية العجوز التي قتلها **« راسكونيكوف » وصفا معبرا دقيقا، هو** ، براي اصحاب المدرسة الجديدة في الرواية الحديثة أجدى من وصف نفسية القاتل او القتيلة ، لا عجب اذن ان تكون المقاييس

التي فزعت اليها الرواية الجديدة مخالفة معاكسة لمفهوم الرواية المألوف المتعارف عليه ، وان يصف « سارتر » الرواية الجديدة بانها ضد الرواية .

ويزعم اتباع هذا الاتجاه ، ان وصف الاشياء الجامدة الملموسة المرئية المحيطة بالانسان ، اثبت وادعى الى استجلاء حقيقة الانسان من الاجتزاء بتحليل نفسيته ووصف اخلاقه وتصوير بدواته وتعلاته .

وكما تعتمد الرواية التقليدية على الموضوع المنسق المرتب ، وترتكز على حبكة ظاهرة او خفية ، فان الرواية الجديدة تجفو الموضوع وتأباه ولذا اضطرت اليه فانه يتراءى موضوعا بسيطا تافها . وتنكر الحبكة الروائية وتحتويها ، لانها ترفض كل ما تواضعت عليه الاذواق واساغته والفته .

لهذا كله بعدت آثار الرواية الحديثة عن متعة التسلية ونأت عن التوجيه والالتزام وعجزت عن اجتذاب جمهور كبير من المتذوقين ، وظلت دائرة قرائها مقصورة على قلة من طلاب الغرابة .

ولنا ان نتساءل عن رواد هذا الاتجاه – ولا اقول هذه المدرسة ، فان اتباع الرواية الجديدة يأبون التزام كل ما هو بسبيل الى المقاييس الموضوعة والنهج المطروق المألوف ويسبغون على آثارهم الروائية سمة الاتجاه المنقب الباحث – لقد كانت الروائية « ناتالي ساروت » ، في الواقع أول من مهد الطريق الى الرواية الجديدة ، فقد كانت روايتها « تروبيسميس » القمقمة الاولى لهذا الاتجاه ولكن روايتها هذه لم تلفت اليها النظر وضاعت في لجة المحاولات الروائية ، ولكن ملامح هذا الاتجاه بدأت تتضح في روايتها « لوحة مجهول » التي استهلت بمقدمة لسارتر بشر فيها بمولد الرواية الجديدة .

واسلوب « ساروت » يعتمد على ترادف الصور والحركات ، دون ان يكون بينها انسجام وترابط . الشخصية الانسانية فيها غائمة شاحبة ، فلا تعرف اسما واضحا لبطل الرواية ولا وصفا محددا لملامحه وقسماته ، اما الموضوع فان على القارىء الطلعة ان يبحث عنه ، كما يبحث الكيماوي عن عنصر خفي ، ضمن كتلة من العناصر الممتزجة المختلطة وان يستله ويتذوقه ويتملاه . على هذا القارىء الذكي الفطن قصرت متعة البحث والاستقراء والتحليل بعد ان بسطت له الروائية المواد الاولية من الصور والاشياء والحركات والاصوات .

بيد ان اتجاه الرواية الجديدة لم يستمسك الا في روايات « آلان روب غرييه » فقد وجدت فيه المهندس البارع الصناع الذي أرسى دعائمها ، وحدد معالمها واصولها .

في روايات « روب غرييه » يتراءى المؤلف كما لو كان يحمل آلة فوتوغرافية يصور الاشياء من زوايا مختلفة، ويريق اليها شعاعا من هنا وشعاعا من هناك ، لتنعكس منها ظلال الاناسي الذين يمرون في مسرح الرواية مرورا عابرا ، وقد يحلو له ان يضع صورة فوق صورة فتلتاث الشخوص والمعالم وتبهم ويضيع القارىء في متاهة سرداب لا يعرف كيف يخرج منه ولعله يفضي ، في النهاية ، الى مدخل السرداب الذي نفذ منه وضرب في حناياه فكأنه لم يصل الى شيء .

ومن رواد الرواية الجديدة « ميشيل بوتور » و « كلود سيمون » ، ولعل « سيمون » أعمقهم واكثرهم تفننا ، بيد ان القارىء يجد فيمتابعة قراءته عنتا وصعوبة وسأما . وينبغي له ، ان شاء مرافقته في رحلة قصصه المضنية ، ان يتحلى بالاناة والصبر . ولعل مرد ذلك يعود الى طول جمله والتوائها وكثرة الاقواس الصغيرة والكبيرة التي تعترضها . ولكن جملته التي تطوي احيانا خمس عشرة صفحة او تزيد تحمل في منعرجاتها أدق التفاصيل . فكأن الكاتب يحمل مجهرا حساسا يجلو به دقائق الاشياء في اسهاب مفصل يدعو الى الاملال ، ولكنه ينفض في طياته الاشياء كما لو كانت مصورة من باطنها الدفين . ان العين المجردة لا تستطيع ان تلاحظ نمو العشب البطيء ولكن جملة « كلود سيمون » تتصدى لهذه المهمة لاستجلاء اي لون ، اي شكل ، اي احساس ، في اصغر حركة او اهتزاز او رعشة تنساب فيها .

وليس من شك ان هذا الاسلوب في الاستقصاء يتحدر من اسلوب « بروست » و « جويس » في الكلف بالوصف المسهب الدقيق . ان في ميسور « سيمون » ان يصور في صفحات عديدة نقطة ماء تقع من صنبور ماء ، فتتجمع وتتكور كثمرة الاجاص ، ثم تنسلخ من فوهة الصنبور ، وتقع ، حاملة معها انعكاسات ضوئية شفافة ناعمة .

ولقد يزعم الكثيرون ان في هذا الوصف المفصل غلوا ومضيعة لوقت الكاتب والقارىء معا ، ولكن هؤلاء الكتاب يجدون في هذا الاستطراد والتقصي فتحا جديدا في عالم الرواية .

ترى أيكتب لهذا الاتجاه الروائي الاستمرار والبقاء؟ ام انه زي زائل ، لا يلبث ان ينطفىء في جملة الازياء الفرنسية الكتابية التي تخلق وتنعم امدا ما ، باعجاب الجمهور ثم تشحب وتختفي ليحل محلها اتجاه آخر ؟

ليس من شك ان هذا الاتجاه قد خلق رعشة جديدة في كيان الرواية المعاصرة ، ومن يدري لعل هذا الاتجاه يظفر – كما يقول الناقد برنار بينغو – بجمهور أكبر واوسع واكثر تطلعا ، وظمأ الى هذا الينبوع الغريب من الجمهور الادبي الضيق الذي أساغ هذا اللون العجيب الجديد واحبه ولم يؤثر عليه شيئا سواه .

بديع حقي

الجزائر

شكسبير والفن المسرحي

بقلم نجيب يوسف داود

* * *

النقد

مضت ثلاثة قرون ونصف منذ نهاية العصر الشكسبيري في الادب الانجليزي ، وكتب النقد المسرحي لمؤلفاته العديدة ما زالت في تضخم وازدياد بحثا في طرائقه الفنية وتفسيرا للابطال الذين خلقهم فملأ بهم مخيلات العالم الادبي .

وقد مر النقد الشكسبيري بأطوار عدة منذ موت شكسبير عام ١٦١٦ ، أهمها طوران . اولهما كان نحو نهاية القرن الثامن عشر اذ شرعت طليعة الحركة الرومانطيقية في انجلترا ، لا سيما كولريدج وهازليت وتشارلس لامب ، بدراسة مسرحياته ليس كروايات عاجة بالحوادث المجردة كغيرها من الروايات التي يستغرق تمثيلها ساعتين او ثلاث ساعات على المسرح ، بل كتعابير عميقة عن شخصيات لرجال ونساء نعرفهم تمام المعرفة ، حتى لاننا نعرف أنفسنا فيهم . فمساهمة هذا الطور اذن هو اكتشاف العامل التحليلي السيكولوجي في هذه المسرحيات وربطه بوقائع الحياة وتجاربها . الا ان هذه الحركة اتخذت اتجاها معينا به بعض العيب ، استغرق استئصاله قرنا كاملا او ما يزيد . فلم يكن شكسبير بالنسبة الى هذه الحركة كاتبا مسرحيا بالمعنى المعروف لدى معاصريه ولديه هو ، بل شاعرا كغيره من الشعراء الذين يؤلفون دواوينهم للطباعة والنشر . ليس كخبير بالمسرح العملي بكل عرفياته ودقائقه ومفاهيمه ، هذا المسرح المتلىء بشخصية الممثل وحركاته وصوته ، بل كاديب نشر رواياته للمطالعة ، لا للتمثيل والمشاهدة . فكان من نتائج هذه الحركة اذن ، ابعاد الشعر الشكسبيري عن التربة التي ولد وترعرع فيها ، آلا وهي المسرح .

هذا هو الطور الاول اذن . فيه هذه المساهمة الفعالة العميقة في تفهم شكسبير كشاعر ، وفيه هذا العيب الذي يفصل الشاعر عن الفنان المسرحي . ولم تكن هذه الحركة بذاتها هي المسؤولة عن هذا العيب ، اذ هو ليس الا نتيجة لتدهور المسرح الانجليزي واسفافه خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . فقد وجد النقاد والادباء انفسهم في ظروف مسرحية لا تليق بقيمة هذا الكنز الفني الفريد ، فلم يكن منهم الا الاستخفاف بأية امكانية توفق بين شاعرهم والمسرح الذي عاصروه .

اما الطور الثاني فقد جاء بنشوء النهضة المسرحية الحديثة في انجلترا واوروبا بصفة عامة في بداية القرن العشرين اذ بعث المسرح الى منزلته الرفيعة بين الفنون ، الامر الذي كان له اثر محسوس في اعادة النظر في مسرحيات شكسبير ومراجعتها على ضوء جديد . فاذا بالنقاد والمخرجين يصرون على درسها في محيطها المسرحي الطبيعي وحده . ولا ريب في ان شكسبير قد اكتسب نتيجة ذلك شهرة وانتشارا وتقديرا لا عهد للناس به من قبل .

لقد كان المسرح في نظر شكسبير مختبرا يبحث فيه ، وكانت مواد هذا المختبر موادا انسانية مستمدة من صميم الحياة ذاتها . وكانت طريقة بحثه هذه تقتصر على تناول قصة بسيطة معروفة ووضع قيمتها وصدقها الواقعيين على بساط التعبير الشخصي . وقد يطرأ على القصة نتيجة ذلك تحوير او تغيير ، لا سيما اذا لم يكن لها قسط واف من القيمة الواقعية . على ان شكسبير لم يكن من الذين يحرصون على رواية القصص رواية دقيقة ، سوى لدى اضطراره الى ذلك اضطرارا ، وذلك في مسرحياته التي تستمد موضوعاتها وحوادثها من التاريخ الانجليزي . فكثيرا ما نجده يحذف بعض تفاصيل القصة التي نقلها حبا للتناظر والاتزان ونجده احيانا يعبث بالقصة فيتركها مهملة او معلقة او منهية دونما اية عناية وافية . ثم اننا قد نجد نهايتها مرتبطة بأذيال بطلها الاول ، كما هو الامر في رواية « هاملت » مثلا . اذ يموت هاملت وبموته تصل القصة نهايتها . فهو يغدق رعايته واهتمامه ليس على ما يفعله ابطاله ، بل على نفسياتهم وشخصياتهم . وما الافعال في المسرحية الا طريقة للتعبير عن نفسية البطل وشخصيته ، فنرى شكسبير يهتم بافعالهم اهتماما ينحصر في كونها وسيلة حيوية لا بد منها لخلق أبطاله وايداعهم حقل الحياة . فما يفعله البطل في المسرح الشكسبيري اذن هو ليس الغاية وانما الواسطة . ونجد ذلك من خصائص مسرحياته كلها تقريبا ، حتى التي انتجها في عنفوان شبابه. وعندما يقبل وهو في عز نضوجه الفكري على تراجيدية « ليـر » وموضوعها الجبار ، و « انطوني وكليوباطرة » بما فيها من رؤيا تاريخية فسيحة ، فتصبح ابياته فائضة متفجرة بالمعنى ، نجده حتى في هذه المسرحيات لا يهمه سوى ما يوحي بالعاطفة ويزخر بالاشفاق . فهو فلا لا يرى فائدة في النظريات والافكار المجردة ، وليس هو بالفيلسوف او المبشر (الا بالطبع عندما يتحتم ذلك بحكم الشخصية التي يخلقها عند اقتضاء الامر) . فهو كاتب مسرحي ، يعبر عن الشخصية عن سبيل الافعال التي تفعلها وتتأثر بها . وفي هذه الحدود فقط تنحصر مسؤوليته ، اذ تبتدىء منها وتنتهي اليها .

أطل شكسبير على الدنيا مشفقا حدبا ، كقول الجواهري في المعري . فالتزم الحياد ازاء ابطاله ومشاكلهم وافراحهم ومآسيهم . ففي طول مسرحياته وعرضها لا نجد اثرا شخصيا او طابعا يدل دلالة قاطعة على رأي كاتبها الخاص . وقد احتار الملقون والشراح والنقاد في موقف شاعرهم من عصره بأحواله السياسية والاجتماعية والفكرية. ولعمري ان الشاعر الحق مرآة لعصره . وقد انعكس عصر شكسبير بوجوهه كافة في مؤلفاته ، الا ان شخصيته العالية سمت عن الصغائر الفردية وكأنها اتحدت بالفكر الانساني العاطفي ذاته وانصهرت فيه .

* * *

طال بي الحديث عن شكسبير الكاتب المسرحي ، وفي رأيي ان الوصف النظري لا يجدي نفعا ما لم يقترن بادلة تصويرية وافية . وخير طريقة لمعالجة هذا الموضوع الجبار قد تتيسر بتناول احدى مسرحياته المعروفة وطرحها على بساطة البحث والتحليل .

ولنتناول مسرحية « هاملت امير الدنمارك » مثلا ، وان لم تكن هذه تعتبر خيرا من « اوثيلو » او « مكبيث » او « الملك لير » . فهي انموذج واف لطرائقه الفنية ، ولكيفية تعريفه أبطاله وبطلاته علينا نحن القراء والمستمعين .

هذه مسرحية كتبت فيها المجلدات وفسرها المفسرون كل حسب مشيئته ، فتركوا قراءهم في ظلال ، وجعلوا من مسرحيتهم هذه قطعة شعرية غامضة ، او دراسة نفسية يستعصي سبر غورها .

ولكن الواقع خلاف ذلك . ولنأخذ شكسبير وحده ونترك شراحه جانبا ، فنحن واثقون من شيء واحد ، وهو ان هذه القطعة كتبت كمسرحية لغرض تمثيلها على المسرح امام جمهور من الناس الاعتياديين . وخير طريقة لتفهم هاملت هي ولا شك رؤيتها على المسرح . وان لم يتيسر ذلك فلا بأس في قراءتها بانفسنا مستسلمين لها . وتدل الدلائل كلها على ان هاملت كانت منذ عرضها لاول مرة رواية رائجة الانتشار لاقت اقبال الجمهور واعجابهم . فهي اذن ليست بلغز او مشكلة ، وحتى اليوم ما زالت هذه المسرحية اكثر مسرحيات شكسبير رواجا وتمثيلا على المسرح ، اما دور هاملت نفسه فممروف بملاءمته الممتازة

لقابليات الممثل الطموح فهو دور غني بالخطب المنفردة . والمقصود بهذا التعبير الاقوال التي يوجهها الممثل الى المستمعين وقد انفرد وحده على المسرح او بعيدا عن باقي الممثلين بحيث يكون على غير مسمع منهم . والواضح ان هذا النوع من الخطاب المسرحي قد اختفى من المسرح الحديث ، الا انه كان في العصر الشكسبيري من أهم الطرائق العرفية التي يستخدمها الكاتب في ايضاح خطته الروائية وتفسير أفعال ابطاله وخواطرهم واثر الواحد منهم على الاخر . وان طريقة الخطاب المنفرد هذه لهي من أمتن الروابط التي تقرب المستمعين الى الممثل . فعندما يخطو الممثل الى الامام متصدرا المسرح ويوجه خطابه الى الناس وليس الى سائر افراد فرقته ، يشعر المستمعون كأن معرفتهم بالبطل قد تعززت ، فها هو ذا يسر اليهم بما يدور في خاطره من خفي الافكار والشكوك والمخاوف والآمال . ومن اشهر الاحاديث المنفردة التي كتبها شكسبير هو حديث هاملت في الانتحار وهو يلقيه كأنه يفكر بصوت عال .

قلت ان دور هاملت غني بهذا النوع من الخطاب الذي يمنح الممثل فرصة فريدة لابداء مواهبه الصوتية والخطابية للناس . وقد اكسبت الايام هذا الدور هالة تقليدية على المسرح الانجليزي ، فما من ممثل معروف الا ولعب هذا الدور يوما من ايام حياته ، وقد اشتهر الكثير من الممثلين الانجليز بهذا الدور ، بينهم جاريك وكين وارفينغ وغيرهم في الماضي ، واوليفييه وجلجي في الحاضر . وقد اخرج اوليفييه شريطه السينمائي المعروف ولعب فيه دور هاملت . وفي رأيي ان هذا الفيلم قدم خدمة عظيمة للذين يحبون الاطلاع على المسرح الشكسبيري وهم بعيدون آلاف الاميال عن انجلترا وفرقها التمثيلية المعروفة .

* * *

ولنر الآن ما يجري في مسرحية هاملت . فلنمد المشهد ونستعرض شخصيات الرواية الرئيسية وحوادثها ، ثم نتطرق الى فلسفتها وقيمتها الفنية .

ها هم هناك على المسرح . رجال ونساء لا نعرف شيئا عن مشاعرهم او مشاغلهم حتى هذه اللحظة . وما علينا الا الاصغاء لندرك ما يدور في خلدهم من خواطر واحاسيس ، حتى اللحظة التي يسدل فيها الستار عليهم بعد ان لعب القدر بهم ما شاء .

مشهدنا سطح القلعة الملكية بمدينة السينور بالدنمارك ، وقد دقت ساعة القلعة توا منتصف الليل . سكون رهيب ، وبرد قارص ، ونجوم فضية تتلألأ في السماء . وتحت هذه النجوم ، على سطح القلعة ، أقام حارس وحيد . تمر دقيقة فيدخل رجل عليه ويفاجئه صارخا « من هناك ؟ » ونشعر وكأن اصطداما بينهما لا بد منه ، ولكننا نعود الى هدوئنا ، كما يعود صاحبنا الحارس الاول الى هدوئه حينما نعرف ان هذا الغريب هو الحارس الثاني الذي سيلتزم الحراسة وقد أتم الاول دورته .

الثاني — لقد دقت الثانية عشرة . هلم الى فراشك ...

فيتأهب الحارس الاول للانصراف ، هامسا : البرد شديد قارص ، وقلبي يحزه الالم . فيتساءل الثاني بعد تردد : أكانت دورتك هادئة ؟

الاول — ما من فار يتململ ..

الثاني (بعد برهة وقد فرغ صبره) : اذا التقيت بهوراتيو ومارسيلس ، قل لهما ان يسرعا .

وهكذا ، في ١٥ من الابيات المتقطعة اصبحنا ندري بالمكان ، والبرد اللاذع ، وحلكة الليل ، وبهذا الجو الذي يسوده شيء من الترقب الرهيب .

فاننا قائمون حرسا — ثم اننا نحس وكأن الرجلين يعرفان بأمر ، اذ يسأل الثاني : « أكانت دورتك هادئة ؟ » فيرد صاحبه : « ما من فار يتململ » . ليت شعري بماذا يعرفان . وفي اي امر يرتابان . ترى ، لم نجد الثاني قلقا مضطربا حول مجيء هوراتيو ومارسلس ؟ لا ريب في اننا سنعرف بعد لحظة كما سندرك ان فاتحة الرواية قد جاء بها كاتبنا على اكمل وجه . فها نحن كلنا اذن وعين . ترى ما الذي يجعل هذين الرجلين وهما من رجال الحرب ، يتحدثان همسا وقد انقبضت انفاسهما ؟

ويدخل هوراتيو ومارسلس ، ويتركهما الحارس الاول في صحبة رفيقه . وبعد تبادل التحية نسمع مارسلس يقول : « أترى ثانية هذا — الشيء — الليلة ؟ »

الحارس — لم أر شيئا .

مارسلس — يقول هوراتيو ان هذا ان هو الا خيالنا ، ولا يصدق بهذه الرؤيا المخيفة التي رأيناها مرتين ، ولذا فهوذا معنا كيما يترقب دقائق الليل ويخاطب الشبح عند مجيئه .

ثم نسمع هوراتيو يقهقه ، واثقا مستهزئا .

وهنا لا يسعنا الا التطلع الى هوراتيو هذا ، والركون اليه . هذا الرجل الرزين الشكاك . فنحن فطرة نثق بمن يأبى الايمان بأمر نخشى عاقبته . امر اوحى به من الابيات ما يزيد على الثلاثين ..

ثم يقص الحارس على هوراتيو حكاية ما رأى بصحبة مارسلس في ليلتين متواليتين ، ولا يكاد يدخل باطن حديثه حتى يظهر الشبح فيرتعد أصحابنا ذعرا . فها هو ذا الشيخ الذي كانوا يتهامسون عنه يتخطى سطح القلعة متثاقلا ، طويل القامة ، شاحبا ، جليلا . في عينيه ولحيته الفضية ودرعه بريق جامد . ويهمس الحارس : « ها هوذا في هيئة الملك الراحل بالذات » .

ويتوسل الرجلان الى هوراتيو ان يخاطب الروح ، فيساهم تعلقهما بهوراتيو وركونهما اليه في ازدياد اعتبارنا له عندما ينادي هذا الزائر المخيف . فان هذا الرجل الشكاك لهو شجاع جريء ايضا . ولكن الشبح يصد وينصرف عنه دون ان يستجيب نداءه .

ولن احاول بعد الآن ذكر تفاصيل كهذه . وحسبي ان اشير الى اللغة الشعرية البليغة التي ينطلق بها شكسبير في أبيات هذا المشهد ، كما هو الامر في اكثر كتاباته ، فهي معجزة من معجزات النظم يستحيل على المترجم نقلها الى أية لغة اخرى او حتى الى النثر الانجليزي . وقد اصبح اكثر هذه الابيات مثلا على السنة الانجليز ، فهي ذهب خالص لا تشوبه شائبة .

وفي المشهد الثاني نقبل على عملية فنية رائعة . اذ بعد المفاجأة التي يفتتح بها شكسبير مسرحيته ، يقوم في المشهد الثاني بتفسير هذه المفاجأة على وجه طبيعي هادىء ، ويجمع على المسرح كبار شخصيات الرواية ، وهم حضور لدى الملك في ديوانه بالقلعة . اما هؤلاء فهم الملك ، والملكة والدة هاملت ، وهاملت نفسه ، وبرلونوس وابنه .

ويعرفنا الملك على الوضع ببلاطه في خطاب يلقيه على المجلس ، مفاده ان اخاه الملك قد مات (دون ان يذكر كيف) وان ذكراه ما زالت حديثة خضراء ، الا انه لا نفع في الحزن المفرط على امر محتوم . ثم يقول أنه هو قد تزوج من ارملة اخيه . ثم ننتقل بابصارنا الى هاملت . شاب له ما يقارب الثلاثين من العمر ، وهو يبدو منقبضا كئيبا . فهو ليس يفكر بنفسه ، ولا بلقب وعرش ، انما هو منشغل بامر اكثر وجدانا وجوهرا — الا وهو هذه السرعة الفاشمة التي تزوجت بها امه من عمه . فهو يحب امه ، ولكنه كان يعبد أباه . وهذه امه قد نسيت واصبحت متعة لهذا الرجل . يا لها من لعنة ، هذه الشهوة في النساء . وهذه الامراة هي امه . ان هاملت يقدس ذكرى ابيه ، ووسط الافراح والاحتفالات ، يلبس الحداد في بلاط يكرهه . وبعد ان ينصرف الحضور يختلي هاملت بنفسه ويبوح لنا بما في صدره من ألم .

ولا بد من الاشارة هنا الى عدم ارتياب هاملت حتى هذه المرحلة في سبب موت ابيه . ولكن مقته لما جرى بين امه وعمه يوحيان اليه

بما يبعث على الحيرة والقلق . وفي هـذه اللحظة الفاصلة يدخل (هوراتيو) صديق هاملت الحميم ليروي عليه ما جرى بسطح القلعة ، وينبئه بأمر هذا الروح الرائد ، روح ابيه . فيحتار هاملت ويضطرب، ويدرك موقنا ان ثمة ما يريب .

وفي المشهد الثالث نتعرف على (اوفيليا) ، حبيبة هاملت وابنة بولونيوس مستشار الملك . نجدها تودع اخاها الانيق ، وهـو متاهب للسفر الى فرنسا . وما نلبث حتى نسمعه يمطرها بعدد مـن النصائح والوصايا . ولا يلبث هو حتى يقبل عليه ابـوه ويمطـره ، بدوره ، بمجموعة جديدة من النصائح . ولا ريب في ان هذا الطابع يمتاز بـه ذكور هذه الاسرة . فالاب ، مستشار الملك ، يتفوه بدرا يملأ الصحائف من النصح السديد ، من جهة ، والهراء من جهة اخرى . وبـين الاب وابنه تقف (اوفيليا) في وحدتها المغدرية ، يتيمة صامتة حائـرة . وليس هناك من امراة واحدة ترعاها او تحنو عليها .

ولا باس ان نلحظ هنا ان شاعرنا وضع هذا المشهد فـي محله . فهو مهزلة مستترة ، وقد كان الجو متأزما ، ولا بد من فترة ترخي مـن هذا التأزم بعض الشيء .

وفي المشهدين الرابع والخامس ، نرى هاملت ينتظر عودة الروح على سطح القلعة ، فيعرف كلاهما الآخر ، ويبوح لـه الـروح بالسر الهائل . فقد اغتال عم هاملت اخاه المـلـك الشرعي واغتصب عرشه وزوجته ، ومات الملك بالسم في حديقة بلاطه .

ويدعو الروح هاملت الى الانتقام ، فيصعق لهـذا النبا ويقسم لروح ابيه معاهدا اياه بانجاز المهمة .

هذه مشاهد خمسة يضمها الفصل الاول من الرواية ، اما مـا يحدث في الفصول الاربعة الباقية فموجزها ما يلي :

يتظاهر هاملت بالجنون لكي يحقق بغيته ، ولا يدري بواقع الامر سوى (هوراتيو) صديقه الامين الذي يلازمه طيلـة معظم احداث الروايـة .

كان هاملت يحب (اوفيليا) ويهبها الهدايا . ولكن سرعان ما نجد اباها يوبخها لذلك ويامرها بالصدود ، ولا سبيل لها الا الطاعة . اما هاملت فان فعلة امه بعد موت ابيه قد ملأته خيبة واشمئزازا ، وذهب ايمانه ايضا باوفيليا المسكينة ، لا سيما وان مهمة الانتقام قـد تملكته وملأت جوارحه ، فابتعدت الشقة بينه وبين (اوفيليا) .

اما هاملت فيضع خطة يوقن بواسطتها من جريمة عمه ، تتلخص في تمثيل مشهد روائي قصير يقتل فيه أخ اخاه فـي حديقة داره ، فيستولي الاضطراب والهياج على عم هاملت ، فيوقن هاملت وصديقه بصدق رسالة الروح . فاذن لم يبق على هاملت الا قتل الملك وانهـاء الازمة . وفي الليلة ذاتها تدعوه امه الى مخدعها لتعاتبه على مـا آثار في البلاط من هياج وجزع.. ويحتجب بولونيوس وراء الستار ليستمع الى حديثهما ، فيشعر هاملت بحضوره ويظنه الملك نفسه ، فيطعنه بسيفه ويرديه قتيلا . وتشتد مخاوف الملك فيبعد هاملت خارج البلاد تخلصا مـن شره .

اما اوفيليا فيصيبها الجنون بعد مقتل ابيها وتلقي حتفها غرقا في غدير . وسرعان ما يعود هاملت الى الدنمارك ليشهد دفنها ويجابه غضب اخيها .

اما الملك فيتآمر على حياة هاملت مع ابن (بولونيوس) ، وذلك بطعنه بسيف ملوث بالسم ، وهنا .. بعد لأي .. وبعـد شهور مـن التفكير ، والتريث ، والتردد القاهر ، يهجم هاملت على الملك الغاصب فيرديه قتيلا . ويموت هو بعد ان تموت الملكة بالسم وابن (بولونيوس) بحد السيف الذي اعده لخصمه .

هذه حوادث الرواية الرئيسية .. لا بد من ذكرها على هذا الوجه العاري كيما يتيح لنا تحليلها والنظر في قيمتها الجوهرية ، لا سيما في شخصية هاملت ، هذه الشخصية التي تدور عليها فلسفة المسرحية وترتكز .

* * *

تثير مسرحية هاملت مشاكل كثيرة لمن يقراها او يشهدها . فهي ليست عبارة عن مجموعة من الحوادث الروائية كغيرها من المسرحيات التي انتجها معاصرو شكسبير ومازال ينتجها اكثر كتاب عصرنا الحاضر، انما هي دراسة نفسية عميقة لرجال ونساء ، لا سيما لنفسية بطلهـا هاملت .

وقد شغف النقاد من كل جيل وعصر بتحليل هـذه الشخصية ، كل على ضوء جديد ، مؤيدين اطروحاتهم بنصوص وافية من المسرحية ذاتها . حتى ان المرء ليحتار في تقولاتهم . فكانوا مثلا يتناولون مسألة تظاهر هاملت بالجنون ويدعون ان هاملت بعد اكتشافه سر موت أبيـه يصيبه مس من الجنون فعلا ، فيذهبون الى تعزيز ادعائهم بالاشارة الى سلوكه ازاء اوفيليا التي كان يحبها ، والـى نفوره منهـا وخشونة معاملته لها .

على ان دراسة هذه الرواية على ضوء تاريخي حكيم تفند هـذه الادعاءات . وبرهان واحد في غاية البساطة يكفي لذلك ، الا وهو ان موقف عصر شكسبير من المصابين بالجنون كان فـي منتهى القسوة والخشونة . حتى انهم كانوا يؤمنون بأن أجسام المجانين مـا هي الا ملاذ للابالسة . فان ظهور مجنون على المسرح لا يمكن ان يثيـر فـي مستمعين هذه عقيدتهم اي اشفاق او رحمة ، كما كان شكسبير ينوي في كتابة هذه المسرحية ، بل ان ذلك لا يثير فيهم الا ضحكا ومتعة .

اما التفسير المنطقي لهذه الظاهرة في هاملت فيتلخص فيما يلي : كانت الصدمة التي نزلت به قاسية عنيفة ، ومـن الطبيعي ان رجلا له حساسية بطلنا ورقته ونبله العاطفي يتأثر من جرائها تأثيـرا كبيرا . والملكة والدته تفهم ذلك فهما غريزيا . فبينما يصر بولونيوس مستشار الملك على جنون هاملت ، تبدي الملكة ريبها في ذلك قائلة ان موت ابيه وسرعة زواجها من عمه هما سر هذا الانقلاب .

ولا شك في ان هاملت لم يكن في حالة اعتيادية فكريا وعصبيا ، اذ ان اشمئزازه من فعلة امه قد تملك جوارحه كافة ، فاصبح امـر الشهوة الجنسية وفسادها في المرأة يعذبه . وهذه الحساسية لا بـد من اخذها بعين الاعتبار اذا اردنا تفسير الانقلاب الذي طرأ على علاقته باوفيليا . فهو ما زال يحبها ، ولكنه يرى فيها رمزا لجنسها فـلا يطيقها . الا ان هذا الكبت لعاطفته لا يلبث ان يزول عندما يرى الناس فجاة وقد قدم توا من منفاه يودعون جثة اوفيليا مرقدها الاخير . اذ يصيح في القوم وقد خرج من مخبئه بين القبور ـ اني احب اوفيليا .

وكذلك شغف النقاد بموضوع ثان تثيره الرواية ، وهو : لماذا لم يقتل هاملت عمه بعد ان اكتشف اثمـه مباشرة ؟ كيف تفسر تردده الطويل وارجاءه القيام بمهمته يوما بعد يوم والشهور متعاقبة ؟ اهـو جبـان ؟

ونجيب على هذه الاسئلة فنقول : ان هاملت رقيـق الخلق ، قويم السجايا ، ذو ضمير حي وفكر متقد . امـا الادلة الايجابيـة المتوفرة لديه فهي تقتصر على كلمة الروح . وليس من المعتاد الفتـك بالناس ولا دليل الا وحي الارواح .

ان لهاملت مسؤولية عميقة ازاء ضميره ـ وهذا ممـا يحول دون انزاله الضربة في الحال . ولهذا السبب بالذات يضع خطة المشهـد التمثيلي حيث يقتل أخ اخاه في حديقة داره ، كي يصطاد بذلك ضمير الملك ويعزز ادلته . وهناك عائق آخر . وهو انشغال هاملت بالحيـاة النظرية الفكرية وابتعاده عن منطق الواقع وفظاظته . فهـو فيلسوف متمرد على عصره بعرفياته وتقاليده البالية ، له وعي نقدي لكل خاطرة تخطر وفكرة تمر . ولذا نجد هاملت يفكر بالانتحار للخلاص مـن قيود

لقاء بلا موعد

الام يعربد في مقلتيك ... نداء ، ويعصف فيّ نداء
وتعبث بي سانحات الاماني ... وأغضي ، فدوني صدى كبرياء
والقاك .. ترعش مني الجفون ... ويذوي بصمتي جمال العطاء
وأهفو اليك بلهفي الحبيس ... فيقهرني عارض من حياء

لعلك تذكر .. قد تذكر !! ... وقوفي لديك كرجف الضياء
فتسالني هل ترانا التقينا ؟ ... لقد مر عام بذاك اللقاء
وجئت اليك بلا موعد ... اجدد في الصبح حلم المساء
وقفت ببابك يا ملهمي ... فاغدقت من مقلتيك الرجاء
لئن كان حقا ، فنعمى أطلت ... وان كان وهما ، ففيه العزاء

دمشق — سلافة العامري

هذه الحياة التي لم يعد يطيقها . فان مهمة تعسة ألقيت على عاتقه ، ولا سبيل الى الخلاص منها .

ولا ريب في ان شكسبير قد أغدق كثيراً من افكاره الآنية وآلامه الشخصية في نفسية بطله هذه حتى لقد قال أحد النقاد الانجليز بحق ـ نحس كأن هاملت هو أقرب الشخصيات التي خلقها شكسبير شبها لشخصية شكسبير نفسه ، وان كنا لا نعلم شيئا عنه .

ان الهدف الاول لكاتب التراجيديا كما عرفه ارسطوطاليس هو ان يكون بطله مقبولا كرجل من أبناء البشر مهما ارتفع مقامه وعلت سلطته، له ما لنا من مشاعر وعواطف كيما نصل نفسيته وندرك ما فيها . ونترقب ما يجري له بكل شوق ، ونحس وكأننا نحن في موضعه .

وكأن شكسبير قد جعل من بطله ملتقى لارواح مستمعيه وقرائه ، فهم ما انفكوا يرون نفسيتهم في نفسيته ، فكأنه عصارة البشر أجمعين . حتى لقد قال وليم هازلت : ان حقيقة هاملت هي في اذهاننا .

على ان قراء المسرحية ينسون أحيانا ان شكسبير قد اقتبس خطتها الرئيسية واسمها من مصدر آخر . وقد كانت تمثل رواية أخرى معروفة بهذا الاسم قبل ان يكتب شكسبير قطعته . والمعجزة الفذة هي ان شكسبير يأخذ مجموعة من الحوادث توحي اليه بمسرحيته فيغدق عليها من فنه وشعره السامي ما يغيرها تغييرا جوهريا . والفرق بين مصدره وروايته هو القيمة الواقعية الجديدة والصدق الشعري والمغزى الانساني النبيل .

وكثيرا ما ننسى ان مسرح شكسبير كان عاريا عن المناظر المصورة الزائفة التي يستعين بها المسرح الحديث . ولم تؤثر هذه الميزة تأثيرا سلبيا على فنه ، بل انه استغلها واستفاد منها . فبدل من ان يستعين بالمشهد التصويري في الدلالة على المكان والاحوال ، نجده يستخدم قواه الشعرية في الوصف . ولولا خلو المسرح الشكسبيري من المناظر المصورة ، لما توفر لدينا هذا الكنز الوافر من الشعر الوصفي البليغ . وكذلك كثيرا ما ننسى خلو مسرحه من الممثلات ، اذ ان الفرق التمثيلية حينئذ كانت تستخدم الصبيان في ادوار الاناث . الا ان شكسبير استغل هذا النقص ايضا وحوله الى منفعة ، مما جعل ادوار بطلاته تفيض قوة وحيوية .

وشكسبير اوسع شعراء العالم خيالا . وهو ليس شاعر عصره وقومه فقط ، بل شاعر كل عصر وقوم في آن واحد . وقد اثبتت الابحاث ان شكسبير لم يكن ممن افرطوا في القراءة والمطالعة ، وانما نظر في باطن الحياة والمجتمع فوجد كل ما بحث عنه هناك . فما من عاطفة او شعور الا وصوره . وما من طرز من الرجال والنساء الا ومثله . فاقواله لا تقتصر على الحياة الدنيا فحسب بل تسبر غور الموت ايضا . ولا تنحصر في انجلترا او فينيسيا فقط بل تنطبق على الكون بأسره . وهو ينسج في حوادث مسرحياته وكلماتها فلسفات لا حصر لها ، اذ انه تكلم بأفواه عدة . فلا يمكننا والحالة هذه ان نجرد فلسفته الشخصية او ان نحددها .

على ان هذا هو سر عظمة هذا الشاعر ، بحيث ان العالم قاطبة قد أقرها ومجدها . اما في انجلترا فقد اصبح الرجل الاعتيادي يردد عفوا في حديثه اقوالا يعود مصدرها الى شكسبير . وقد يصح القول انه ليس ثمة بيت انجليزي لا يضم في مكتبته ، مهما كانت صغيرة ، نسخة من مسرحياته . وقلما تمر فترة دون أن تعرض احدى رواياته على مسرح من مسارح لندن العديدة . هذا عدا الموسم الشكسبيري المعروف الذي يفتتح في ستراتفورد اون ايفون ربيع كل عام ، حيث تمثل نخبة من رواياته ليلة بعد ليلة . ومن يزور هذه البلدة الصغيرة بما فيها من عمارات تاريخية قديمة ، لا سيما الدار التي ولد فيها شكسبير ، يعود وقلبه مفعم بذكرى هذا الشاعر . وعلى ضفة نهر الايفون ، الذي تتهادى عليه الاوز ، تقوم بناية المسرح الذي شيد تخليدا لذكرى ابن البلدة . ويجمع هذا المسرح بين جدرانه كل ليلة المئات من هواة شكسبير وقد جاؤوه حجاجا ليس من كافة انحاء انجلترا فحسب ، بل من ارجاء العالم قاطبة .

هذه هي بعض الآثار التي تركها شكسبير ، وهذا هو تراثه ، يغمر ابصارنا واذهاننا بشعاع نفاذ ، يفيض حكمة وعطفا ورحمة واشفاقا .

لندن — نجيب يوسف داود

شارع النصر

من اقدم شوارع مدينة دمشق التاريخية

●

تطاول في شاسع ما بدا ... وحلق يشمخ عبر المدى
صحائف تنشرها الذكريات ... فتثمر من دونه عسجدا
ويزهر ماض على جانبيه ... توشح في سابغ وارتدى
مطاف به للهوى والشباب ... ومارف من حلم يفتدى
تطوف الحسان به يومهن ... وللشوق ما دب او ما عدا
ويعبق ثغرك بطيب الوعود ... فيحلو النداء ورجع الصدى
يد بيد تلتقي عن هوى ... وأخرى لشوق تهز يدا
وكم من يد دونه للشباب ... على عبث قنصت موعدا

★ ★ ★

يهيم الخيال على مشرعيه ... ويهزج في شاسع منشدا
ينادي البهاليل من (يعرب) ... ومجدا تليدا طواه الردى
فيبعث ما غاب من غابر ... سحيق يطول السهى محتدا
جحافل تعدو لغمر المنون ... عطاشا كأن به موردا
وتحسب (مروان) دون الحديد ... جرت تقنص المجد والسؤددا
بنت شامخا ملء عين الزمان ... يسر الصحاب ويشقي العدى
ملاحم للفخر أبياتها ... يرددها الدهر مستشهدا
ومولد مجد يضن الزمان ... على الناس في مثله مولدا

★ ★ ★

أطالع ما شاق من مشهد ... واجلو بعين الرؤى مشهدا
ينازعني للهوى مشرع ... يفيض على ضفتيه الندى
خيال الاحبة من دونه ... يشير بمختضب منشدا
فيهزج ثغر على مشرعيه ... ويخفق صدر لطيف بدا
نوازع للشوق ما تأتلي ... تجدد للشوق ما جددا
وتبعث ما فات من غابر ... سحيق وتنشر ما بددا
فابصر بالوهم عبر الفضاء ... سماء تشع بنور الهدى
وألمح من غاب في حضرة ... ومن في اسار الردى قيدا
ويخدعني الوهم حتى اخال ... البعيد قريبا فأرنو سدى
فلا القلب يقصر عن حلمه ... ولا الحلم يثني لجهد يدا

دمشق

عدنان مردم بك



عبد الغني العطري

ابن زيـدون

بقلم عبد الغني العطري

* * *

ابـن زيدون عبقـري زمانـه — قصر المحسنون عـن احسانـه
اخذ الـروم فـي الجزيرة عنه — ومشوا فـي خيالـه وافتنانه

رحم الله امير الشعراء، فقد كان في طليعة المعجبين بشعر ابن زيدون وفنه ، وكان يرى انـه عبقري زمانه وعصره . ترى هل كان شوقي مصيبا فـي رأيه بابـن زيدون ، ام كان فيه من المغالين المبالغين ؟. واذا كان ابن زيدون عبقري زمانه ، ففي اي ضرب مـن ضروب شعره نلتمس عبقريته ؟

هذا ما سنعرض لبحثه في هذا المقال :

امتاز أئمة الادب وفحول الشعر بناحية من نواحي الشعر والادب اجادوا فيها اكثر من غيرها ، حتى عرفت بهم وعرفوا بها :

امتاز امرؤ القيس بأولياته ، وابن ابي ربيعة بغزله ، وجرير بهجائه ، وابـو نواس بخمرياتـه ، والبحتري بوصفه ، والمتنبي بحكمته ... وهكـذا سائـر فحول الشعر . فما هي ميزة ابن زيدون ، التـي لازمته طـوال حياته الادبية ، وعرف بها في اكثر شعره ؟!

في اعتقادي انها العبقرية ، فابن زيدون – كما قال شوقي – عبقري زمانه . ولقد نضحته الاقـدار بمـاء العبقرية والخلود ، والقته في بلاد الاندلس ، ذات المياه الرقراقة ، والازهار الفواحة ، والنسيم المعتل ، والطبيعة التي تستجيش الشعر في النفس ، فكان منـه ذلـك الشاعر العبقري ، الذي نهتز لقراءة آثاره ونطرب .

اذا اردنا ان نلتمس عبقرية ابـن زيدون الحقـة فلنلتمسها في شعره . ولكن في اي باب من ابواب شعره ننشدها ؟ افي مديحه .. ام في رثائه ؟. افي وصفه .. ام في استعطافه ؟.

من الخطأ الجسيم ان نبحث عن عبقرية ابن زيدون في هذه الابواب . وما علينا اذا اردنا ان نتعرف الى ابن زيدون معرفة صادقة ، ونفهمه فهما صحيحا ، سوى ان نبحث عن حبه وغرامه ، وما تركاه في نفسه وادبه مـن آثار خالدة خلود الحياة ، باقية بقاء الروح .

فما هي قصة غرام ابن زيدون ، التـي استجاشت الشعر في نفسه ، وجعلته يئن انين الثكالى ، ويبكي بكاء اليتامى ؟. ومن هي الحسناء اللعوب ، التي ايقظ غرامها شاعريته وجعله يقول الشعر فيها فيكثر ... ذلك الشعر الذي نتلوه فنشعر به يهز منا اوتار القلوب ؟

تحدثنا كتب الادب ان ابن زيدون احب ولادة بنت المستكفي ، احد خلفاء الاندلس ،حبا ملك عليه مشاعره واحاسيسه . وكانت ولادة اديبة شاعـرة ، ذات حسن وجمال ، ولكنها الى جانب ذلك كانت خليعة ماجنة ، فقد رووا انها كتبت على كميها هذين البيتين :

انـا واللـه أصلـح للمعالـي — وامشـي مشيتـي واتيـه تيهـا
امكن عاشقي مـن لثـم ثغري — واعطي قبلتـي مـن يشتهيهـا

فلما احبها ابن زيدون ومنحها قلبه ، صانت حبـه وغرامه بعض الوقت . ولبث شاعرنا ردحا مـن الزمن يرتع معها في مغاني الاندلس ، يرشفـان كؤوس الحب والهوى ، مفعمة بالود والاخلاص . ولكن الدهر الخؤون، ابى ان تدوم لابن زيدون هـذه السعادة وذاك النعيم ، فقلب له ظهر المجن ، وسلط عليه الوزير ابـن عبدوس – الذي تيمه حب ولادة وافعم قلبه حقدا ، حبها لابـن زيدون – فكاد له عند ابن جهور واوغـر صدره عليه ، فأودعه هذا غياهب السجون ، واذاقه مر العذاب .

فر ابن زيدون من السجن بعـد ذلـك ، وحاول استعطاف ولادة ، ولكن قلب ولادة كان اذ ذاك كالحجر الاصم ، لانها كانت لاهية بغرام جديد ... غرام ابـن عبدوس .

كانت فجيعة ابن زيدون بغرامه وقلبه ، اقسى من ان تنسى في عام او اعوام ، ولا سيما انه الشاعر المرهف الحس ، الرقيق الشعور ، فظل لهيب هـذا الغرام يقض عليه مضجعه طوال حياته ، وظل خيال ولادة عالقا فـي ذهنه لا يفارقه ولقد الهمه هذا الهوى المبرح اروع قصائده

الى جارة

اغواء ! يـا صفة الذي هجر السما
لما خلا مـن مغريات شباكـه !
سحر العيـون ، وبسمة عفويـة ،
وصراع أسر الحـب مـن آياتـه
دنيـا ولا شـوق ، كقبـر مقفـر
حتـى مـن البلهاء مـن أمواتـه
يـا جارتي ! الاغراء نعمى عيشنـا
لا تمنعي المحروم عـن جناتـه

حلب — علي الناصر

وارق شعره . وكان دائما شديد الشوق الى ايام وصالها، عظيم اللوعة على فراقها ، متاجج الحنين اليها . وفـي اعتقادي ان لولادة على شاعرية ابن زيدون وخلوده فضلا اي فضل ، فلقد ايقظت بنأيها عنه شاعريته ، واهلته ان يكون اميرا من امراء الغزل ، وزعيم الشعر الاندلسي دون منـازع .

برع ابن زيدون في الغزل والشوق والحنين ، وترك في هذه الابواب آثارا نطالعها فنهتز لها اعجابا ، ونرقص طربا ، لما نلمسه فيها مـن العاطفة الصادقة ، والحنين المتأجج ، واللوعة الوثابة ، ولا عجب في ذلك اذ ان الحب الصحيح الصادق ، الـذي يتغلغل فـي القلب ويمتـزج بالروح ، يلهم صاحبه اروع ما كتب او نظـم او الف .

وقديما قال ابن زهير :

وما الحب في الانسان الا فضيلة   تلطف اخلاقـا لـه وتدمث

ولنستمع الآن الى ابن زيدون ينشد ولادة هـذه الابيات ، بعد ليلة قضاها في صحبتها :

ودع الصبـر محـب ودعـك   ذائع مـن سره مـا استودعـك
يقـرع السن علـى ان لـم يكـن   زاد في تلـك الخطى اذ شيعك
يـا اخا البـدر سنـاء وسنـا   حفظ اللـه زمانـا اطلعـك
ان يطـل بعـدك ليلي فلكـم   بت اشكـو قصر الليـل معـك

ولنستمع اليه الآن ايضا يقول بعد فراق ولادة :

لما اتصلت اتصال الحب بالكبد   ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد
ساء الوشاة مكاني منك واتقدت   في صدر كل عـدو جمرة الحسد
فليسخط الناس لا اهد الرضى لهم   ولا يضع لك عهد آخـر الابـد
لو استطعت اذا مـا كنت غائبة   غضضت طرفي فلم انظر الى احد

أرأيتم كيف يتمثل الصدق والعاطفة والوفاء فـي هذا الغزل ؟. أرأيتم كيف تبدو الرقة والعذوبة والاخلاص من خلال هذا الشعر العذب ؟

وهاكم الآن هذه المقطوعة الغنائية الرقيقة من غزله:

متـى ابثك مـا بـي   يـا راحتـي وعذابـي ؟
متى ينـوب لسانـي   في شرحه عـن كتابـي ؟
يـا فتنـة المتعـزي   وحجـة المتصابـي
الشمس انـت تـوارت   عـن ناظـري بالحجـاب
مـا البـدر شف سناه   علـى رقيـق السحـاب
الا كوجهـك لمـا   اضـاء تحـت النقـاب

ومن جيد شعر ابن زيدون ، الـذي تتمثل فيـه العاطفة المتأججة ، والشوق المبـرح ، واللوعة الوثابـة قولـه :

لا سكن الله قلبا عـن ذكركـم   فلم يطـر بجناح الشوق خفاقـا
لو شاء حملي نسيم الصبح حين سرى   وافاكم بفتى اضناه مـا لاقـى
كان التجاري بمحض الود مذ زمن   ميدان انس جرينـا فيـه أطلاقـا
فالآن احمد مـا كنـا لذكركـم   سلوتم وبقينـا نحـن عشاقـا

أرأيتم كيف تتمثل شاعرية ابن زيدون وعبقريته في غزله ؟ أسمعتم كيف يتدفق طبعه في نسيبه ووجـده تدفق السيل المنهمر ؟!. يقول بعض الناس ان الكلام الذي يخرج من القلب يدخل الى القلب . وشعـر ابـن زيدون في الغزل خرج من قلب ، ولكنه دخل الى كل قلب .

ابن زيدون شاعر عبقري ، وعبقريته الحقة في غزله وحنينه وطبعه . وهل يحسن كثير غير ابـن زيدون ان يتغزل او يقول مثل غزله وقوله :

أنت معنى الضنى وسـر الدموع   وسبيل الهوى وقصـد الولوع
انت والشمس ضرتـان ولكـن   لك عند الغروب فضل الطلـوع

او قولـه :

أغائبة عنـي وحاضـرة معـي   اناديك لما عيل صبري فاسمعي
أفي الحق ان اشقى بحبك او أرى   حريقا بأنفاسي ، غريقـا بأدمعي
الا عطفة تحيا بهـا نفسُ عاشق   جعلت الردى منه بمرأى ومسمـع
صليني بعض الوصل حتى تبيني   حقيقة حالي ثم ما شئت فاصنعي

هذا هو ابن زيدون قدمت اليكم صورة من عبقريته، ولمحة عن فنه الذي برع فيه واجاد ، ولكني ارى ان هذه الصورة تظل ناقصة ، ان لـم تكملها بابيات ، ولـو قليلة من قصيدة « اضحى التنائي » ، التـي بعث بهـا الى ولادة ، عندما لج به الشوق اليها ، وحرقت كبـده لوعة فراقها . وهي من قصائده الغر ، التي طار صيتها في الآفاق ، وذاعت شهرتها بين الناس ، حتـى صار شأنها في الاندلس، شأن معلقة امريء القيس في الجزيرة العربية . وهاكم الآن هذه الباقة الصغيرة منها :

ليسق عهدكم عهد السرور فمـا   كنتـم لارواحنـا الا رياحينـا
ان الزمان الذي مـا زال يضحكنا   أنسا بقربكم قـد عـاد يبكينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا   بأن نغص فقال الدهـر آمينـا
يا جنة الخلد ابدلنـا بسدرتهـا   والكوثر العذب زقومـا وغسلينا
كأننا لـم نبت والوصل ثالثنـا   والسعد قد غض من اجفان واشينا
ابكي وفاء ، وان لـم تبذلي صلة   فالطيف يقنعنا والذكـر يكفينا
عليك منا سلام الله مـا بقيت   صبابة بـك نخفيهـا فتخفينـا

دمشق — عبد الغني العطري

وقف المدرس امام التلميذ . وراء التلميذ شباك عريض ، يطل على الفناء . ولكن المدرس لا يرى الفناء ، فقط ، اغصان شجرة مخضرة ، دائمة الاخضرار ، صيفا، شتاء .

ارتكز المدرس بعصاه على حافة درج التلميذ : وضع طرف العصا، في المجرى المقعر الذي يضع فيه التلاميذ اقلامهم ، وامسك الطرف الآخر بقبضته. اخذ يتأمل التلميذ، محاولا اكتشاف ما يدور فيرأسه. كان التلاميذ من حولهما في صمت متوتر . الكل ينظر تجاههما في شيء من القلق . رفع التلميذ بصره الى السقف ، ثم عاد ونظر الى سطح الدرج . واخيرا قال المدرس :

ــ **اسمع يا بني ، لا بد من نهاية لكل هذا .** افهم تماما انك لا تفهم ، هذا شيء ممكن ومحتمل ، فربما تكون غبيا ، ومع ذلك فانا اقبله ، ولكن في حالة واحدة ، ان تكون منتبها ، وتجهد نفسك على الفهم. اما ان تلعب ، وتقرص زميلك ، وتقزقز اللب ، فهذا هو غير المحتمل . ما رايك الآن ؟. وما هو العقاب الذي تقترحه لو كنت مكاني ؟.

لم يجب التلميذ بشيء . ظل واقفا مطرقا وكأنه لا يسمع . اعتدل المدرس في وقفته ، وراح يتأمل التلاميذ : كانت رؤوسهم قد اتجهت نحوه ، العيون الصغيرة اللامعة ترمقه ، وكأنها تتوقع ان ينزل العقاب بهم جميعا . كان الكل مسؤولا بشكل ما . هكذا فكر المدرس ، او هكذا خيل اليه . وجالت براسه فكرة ، ربما بدت غريبة له في أول الامر ، ولكنه تذكر حادثا وقع له أيام كان تلميذا : اطلق احد التلاميذ ضحكة عالية ، بدون سبب واضح ، كان المدرس يكتب على السبورة ، وبالرغم من ذلك ، فقد عرف الضاحك ، عرفه من صوته ، ولكن التلميذ لم يعترف بما اقترف من ذنب ، ولم يعترف عليه احد من زملائه ، فوجد المدرس نفسه مضطرا الى ضرب تلاميذ الفصل كله . المقارنة هنا لا مجال لها . التلميذ الشاكي حدد المذنب ، والمذنب لم ينكر وان لم ينطق بحرف . ان لم ينل هذا التلميذ اي عقاب ، فمن يدري ، ربما استهتر الجميع ، وصار الفصل حلبة للضرب والقرص واللعب ، يجب وضع حد لكل هذا ، ولكن كيف ؟. ليكن هذا التلميذ عبرة ، هكذا أرادت الاقدار ، او هكذا اراد هو . ورفع المدرس العصا ، ولكنه بسرعة اخفضها ، ثم استدار ،



بقلم مصطفى ابو النصر

وعاد الى منصته ، واشار بعصاه الى السبورة وبدأ الشرح :

« الآن تستطيعون ان تفهموا ، سأعيد الدرس من جديد ، وعليكم ان تصغوا جيدا ، ليس من المعقول ان اشرح وأشرح وانتم لاهون » . لم يتفوه تلميذ بكلمة ، ولم تبدر من احدهم اية اشارة . ودارت عيناه دورة كاملة على التلاميذ . لم يجد احدا منهم يتحرك او يتلفت ، او حتى ينظر اليه : كانت نظراتهم معلقة على السبورة ، كلهم يحدقون



في المسألة الحسابية وكأنها لغز . استطاع التلاميذ ان يخرسوه . بطلت الحجة ، وعليه ان يتابع الشرح ، فرفع العصا مرة ثانية واستطرد قائلا : « المسألة ــ كما هو واضح ــ في غاية البساطة ، وليس عليكم الا ان تتتبعوني وانا أحلها . ان اتبعتم الطريقة التي سأتبعها ، امكنكم ان تحلوا اصعب مسألة » . توقف لحظة ، لم تعجبه كلمة أصعب ، لا بد ان تكون هناك كلمة تقوم مقامها او ادق منها .

« في الواقع لا توجد مسألة صعبة ، واخرى سهلة . جميع المسائل سهلة اذا عرفنا طريقة الحل الصحيح ، وطريقة الحل الصحيح لا يمكن ان تكون مجهولة اذا انتبه التلميذ . انتبهوا الي جيدا الآن . القاعدة الاساسية التي تعتمد عليها المسائل التي من هذا النوع هي ... » . وقف عصفور على حافة الشباك وراح يقفز في رشاقة . التفت التلاميذ تجاه الشباك . مضت برهة والكل يتأمل العصفور . كان العصفور في حجم العصفور، لا اكبر ولا اصغر. اللون الرمادي المعهود وان شابه سواد داكن عند الجناحين ، المنقار أسود مدبب صغير . كان التلميذ الجالس بجانب الشباك اسعدهم ، اسعد من المدرس ذاته . وفجأة ، اندفعت يده تريد الامساك به ، ولكنه طار . اعجب التلاميذ هذا المشهد ، وبدون اتفاق سابق ، انطلقوا في ضحكة جماعية عالية ، تردد صداها على الجدران الاربعة، ثم تجمعت واخترقت اذن المدرس.

كانت المفاجأة بالنسبة اليه غير مصدقة ، وللحظة وقف مذهولا ، غير انه تدارك الامر بسرعة، فأمسك بالعصا وهوى بها يخبط مكتبه عدة خبطات متوالية ، بسرعة وعصبية، فانكتمت الضحكات في الحناجر ، وساد الفصل صمت عميق ، ولكنه مشوب بما يشبه الرهبة . هذه

هي الفرصة ، فرصة لا يمكن تجاهلها او الحط من شأنها . لا قيمة للعلم ولا ضرورة ، ان لم يستطع ان ينفث في التلاميذ روح الجد واحترام الفصل . ونزل من على المنصة ، واخذ يخطو في بطء شديد تجاه التلميذ . نفس التلميذ . ما الذي يمكن ان يفعله الآن ؟. لو انه لم يرفع يده ، لو لم يفكر في الامساك بالعصفور ، لطار العصفور من تلقاء نفسه، ولاستمر هو في شرح المسألة وحلها، ولافيد التلاميذ ، وتمكنوا من حل جميع المسائل المتشابهة ، ولانتقل في الحصة القادمة الى نوع جديد . ولكن ، نفس التلميذ يعوق كل هذا، ما الذي يمكن ان يفعله معه؟. كانت العصا في يمينه ، وشعر ان يده اليسرى فارغة ، فتركها تهتز الى الامام والوراء ، ولكن يجب أن يكون لها ضرورة هي الاخرى .

ـ قف .

قالها المدرس في صوت جاد عال ، بصيغة امر التهديد . ووقف التلميذ . كان في هذه المرة ، يدرك تماما انه غير مذنب ، ولهذا فمن الضروري ، ان يكون ذلك واضحا . وحاول ان يقول شيئا ، يدفع به عن نفسه التهمة . هل محاولة الامساك بعصفور تهمة ، ام ان الضحك في حد ذاته تهمة ؟

تأمله المدرس برهة ثم سأله :

ـ ما هذا الذي فعلته ؟

فأجابه التلميذ بسرعة :

ـ لم افعل شيئا يا استاذ .

ضحك المدرس في غيظ قائلا :

ـ شيء جميل ، جميل جدا .. لم تفعل شيئا ، من الذي فعل اذن؟ في المرة السابقة كانت فعلتك جزئية ، اما الآن فجماعية ، وعليه، فليس امامي سوى طردك من الفصل ، ولن اسمح لك بدخوله في درسي حتى نهاية العام .

وعلى الرغم من انه كان يوجه هذا الكلام للتلميذ فقط ، فقد كان ينظر من حين لآخر الى التلاميذ كلهم . ولم ينبس احد منهم بحرف . واشتم رائحة خوف ، فدفعه ذلك الى ارتداء الثوب الحازم للجميع .

عاد الى منصته ، ولكنه لم يلتفت الى السبورة ، ولم يبدأ في الشرح ، وانما جلس على كرسيه ، وهو يقول :

ـ لن أشرح هذا الدرس ، لنعتبره قد شرح ، وعليكم الآن ان تحاولوا هذه المسألة . ان العام الدراسي قارب الانتهاء ، واذا استمرينا على هذا المنوال فلن ننتهي من المقرر بأية حال . في الحصة القادمة ، سأشرح الموضوع بالتالي .

ما كاد ينتهي ، حتى بدات الهمهمة بين التلاميذ، وبدا الصوت يرتفع رويدا رويدا ، حتى صار كطنين الذباب . اندفع المدرس يضرب مكتبه بعصاه ، وانطلق صوته محذرا آمرا ، وحين بدأ صوته يخفت ، انتصب تلميذ واقفا وقال :

ـ ولكن يا استاذ ما ذنبي انا ؟. انني لم أفعل شيئا .

رمقه المدرس بنظرة فاحصة ، وحاول ان يفهم ماذا يعني هذا التلميذ ، وقدر انه لو دخل معه في مناقشة ، فقد يؤدي ذلك الى فوضى، مضت فترة صمت بينهما، ودار بعينيه على التلاميذ ، فلمح ترقبهم لفمه . لم يفكر فيما يمكن ان يقوله ، غير انه بدأ في الكلام ، وهو لا يدري ، ما الذي سيؤدي اليه هذا الموقف :

ـ تقول ، انك لا تدري ما ذنبك .. اليس كذلك ؟

فأجابه التلميذ بصوت عال ، وبشجاعة :

ـ نعم يا استاذ .

ـ اذن فأنت بريء ؟

ـ نعم يا أستاذ .

ـ انت لا شك طالب شجاع .

ـ شكرا يا استاذ .

ـ ولكن الشجاع لا يكذب .

ـ انني لم أكذب يا استاذ .

ـ انت بالتأكيد كذاب .

ـ كلا يا استاذ .

ـ وهذا أيضا كذب .. ألم تضحك ؟

لم يحر التلميذ جوابا . صمت وكأنه صفع . وكان المدرس قد قرر في نفسه شيئا ، فأمسك بعصاه ، وقال وهو ينزل من على منصته : « ليس لدي وقت للمناقشة ، ثم انه من الثابت انكم جميعا قد اشتركتم في الضحك ، ومن الصعب ان يدعي احدكم انه لم يضحك ، وعلى هذا فالكل مذنب ، والكل لا بد ان ينال العقاب » .

ومضت فترة صمت قصيرة ، انطلق صوته بعدها يأمرهم :

ـ قفوا كلكم .

تصاعد صوت احتكاك احذيتهم بالارض ، وكانت ثمة تمتمة من نوع غريب قد بدات تعلو وتعلو . ولكن المدرس ، كان قد صمم ، فاقترب من أول تلميذ في الصف الاول : « افتح يدك » . وتردد التلميذ لحظة ، ونظر بجانب عينه الى جاره فوجده يحدق في المدرس بذهول . وانطلق الصوت اكثر ارتفاعا وحزما وجدية : « قلت افتح يدك » . فتح التلميذ يده ومدها ، وهوت العصا في عصبية، وعلا صراخ التلميذ ، ولكن المدرس لم يهتم ، ولم يزده هذا الصوت الا اصرارا : « افتح يدك الثانية ، افتح يدك الثانية » . وارتفعت العصا ، وهم ان يهوى بها على كتفه ، لولا ان مد التلميذ يده الثانية بسرعة . انتقل المدرس الى التلميذ الثاني ، ثم الثالث ، ثم الرابع ، ثم الخامس ، وهكذا ، وبدأ النشيج يعلو ، ولكن المدرس ، كان قد تخلص نهائيا من التفكير ، وتحول الى شيء يشبه اللعبة التي تتحرك بالزنبرك ، وفي كل حركة

كانت السرعة تزداد وتأخذ شكلا آليا محددا ، الا انه لم يكن يفكر في ذلك . وجحظت عيناه ، وتسربت قطرات عرق ساخن خلال شعر رأسه ، ولمعت رقبته ، واكتست جبهته بما يشبه البثور ، واصطبغ لونه بحمرة مشوبة بزرقة مخضرة . وبدأت انفاسه تتوالى في سرعة ، وهو يرفع العصا ويهوى بها ، ولم يعد ينطق، واصاب التلاميذ خوف مجهول ، وصار كل واحد منهم ، يفتح يديه مرة واحدة ، وبدون أي تردد ، وان كانت قلوبهم قد انقبضت ، وانطوى كل منهم على مقعده يفرك يديه ، وينشج متمتما بكلام غير مفهوم . واخيرا انتهى المدرس من ضرب التلاميذ كلهم ، ودار عائدا الى منصته ، ولكنه فوجىء بالتلميذ الذي امره بالخروج جالسا . « امش .. امش اطلع بره » . رفع التلميذ عينيه في استجداء ، الا ان المدرس لم يكن يرى شيئا على وجه التلميذ ، وانما رفع عصاه مهددا، فانطلق التلميذ، وقبل ان يغادر الفصل ، التفت ينظر الى المدرس ، وكأنه يطلب منه تغيير رأيه ، ولكنه لم يعره اي انتباه ، فخرج مطرقا ، واغلق الباب خلفه .

ظل المدرس واقفا مكانه ، لا يدري ما يفعل ، وراح ينقل بصره بين التلاميذ ، وقد انحت ظهورهم، ولم يعد احد منهم ينظر اليه . بدا له المكان ضيقا جدا ، وشعر بما يشبه الاختناق ، ففك الكرافته ، وفتح زرار القميص ، واخرج المنديل ، وجفف وجهه ورقبته ، ثم اخذ يتمشى في الممرات بين التلاميذ وهو صامت مطرق . ولم يلبث ان رن جرس انتهاء الحصة ، فاتجه الى منصته ، واخذ دفتره وعصاه ، وغادر الفصل دون ان ينظر الى التلاميذ اطلاقا .

★

جلس المدرس في حجرة المدرسين ، ووضع العصا امامه على المكتب ، ثم بدأ في تحضير درس جديد . ولكنه ما كاد يكتب سطرا ، حتى توقف ، وترك القلم وحدق بعينيه امامه ، دون ان يرى شيئا ، ظل فترة طويلة شاخصا حتى بدأت الصورة تتشكل في مخيلته : الفصل ، التلاميذ على مقاعدهم وقد تقوست ظهورهم ، واحمرت عيونهم من البكاء، وصوت نشيجهم يكاد يخرق اذنيه. الشباك الوحيد يبدو كلوحة رسمها مصور ماهر ، ولم يستعمل فيها سوى لونين : الاخضر، والازرق السماوي، وفجأة انبثق السؤال : ما الذي حدث اليوم ؟. لم يستطع ان يعلل هذه الثورة التي انتابته ، ولا هذا العقاب الجماعي الذي أنزله بالجميع ، دون سبب حقيقي او معقول . مجرد تلاميذ أبرياء ، طفرت من نفس احدهم رغبة متوثبة ، ولكن افلات العصفور بخفته ورقته ودقة جرمه ، قد حركت نفوس التلاميذ طربا ، فاذا الضحكات البريئة تنطلق من حناجرهم في براءة وطهر عجيبين. من ذلك الجبار الذي كان يستطيع ان يكتم هذه الضحكات ؟ وحتى اذا استطاع فما قيمة ذلك ؟. لا اكثر من ضحكة عابرة ، يعود بعدها التلاميذ الى جديتهم ، ويستمر الدرس وقد غسلت الضحكات نفوسهم وامدتهم بطاقة جديدة للفهم والعمل . كان هو ذلك الجبار العتيد الذي كبت نفوسهم وارهبها، فاذا هم يتحولون الى امساخ خائفة ، وارتعشت قلوبهم ، والجمت الرهبة ألسنتهم ، وانعدمت رغبتهم في الدرس والتحصيل . سقطت عيناه على العصا ، تلك هي التي غيرت مجرى الحصة ، وحولت الفصل الى احد سجون التعذيب . امتدت يده اليها ، وامسك بها ، وراح يقلبها ويتأملها : كان يحب دائما ان يظهر بمظهر المدرس الحازم الجاد ، ولكن أليس من طريقة اخرى غير العصا؟. كان الاولى ان يشاركهم ضحكهم وبهجتهم ، حتى يستطيع ان يقربهم منه ، فيأنسوا اليه ، وتزداد رغبتهم في العلم ، فتنفتح اذهانهم الى الفهم .

لم يستطع ان يجلس ، فترك المكتب وغادر الحجرة، وفي الفناء، جال بعينيه يبحث عن تلاميذ فصله . وجدهم يلعبون ويمرحون، وكأن شيئا لم يحدث ، فأخذ يقرب خطاه منهم ، ولكن ما ان لمحه احدهم ، حتى اشار الى زميل له ، واخر واخر ، واذا هم جميعا قد تسمروا في أماكنهم ، وراحت عيونهم ترمقه بشيء من الخوف والحذر . اغتصب ابتسامة محاولا ان يبعث بها في نفوسهم شيئا من الاطمئنان ، ولكن اغلبهم بدأ يتقهقر منسحبا . ظل واقفا في مكانه ، لا يدري ماذا يفعل او يقول . كان يمكن ان يدور على عقبيه ، ويعود الى مكتبه ، الا انه لم يستطع ، او لم يجرؤ على الحركة . خيل اليه ان قدميه قد تصلبتا في الارض ، واصبح ضروريا ان يتخلص من هذا الموقف على شكل ما ، وشعر بشيء من الحرج ، وبأن وقفته هذه غريبة عليه ، اكثر مما هي على التلاميذ ، فهو لا يذكر انه وقف في الفناء مرة واحدة . يذهب الى الفصل ، ومنه الى الحجرة ، ثم في نهاية اليوم ينطلق الى الشارع . وكأنما هذه الوقفة ، قد فتحت عينيه على حقيقته : آلة .. ليس شيئا سوى آلة .. آلة تسجيل . القرص يدور عند الرنين الاول للجرس ، ولا يفتأ يدور ويدور . وعند الرنين الثاني ، يتوقف القرص . حاول ان يبتسم ، ولا يدري كيف كان وجهه في هذه اللحظة ، الا انه قدر ان ابتسامته كانت مجرد قشرة لا يمكن ان يخفي باطنها على التلاميذ،

الحمال البائس

كان في الخمسين مــن عمــر قضاه بالشقـاء
كادحا للرزق يرجــو الستر مــن رب السماء
يحمــل الاثقــال لــم ينعــم بيــوم في رخـاء
مــن طلــوع الفجـر حتــى يختفي نـور ذكـاء
وهو يبـدو مثـل قوس ، بأنعطـاف وانحنـاء
يحمل الحمل ببخس ليس يجدي مــن غنـاء
فلكـــم أنـــت تــراه يــوم صيف أو شتـاء
لاهثـا مرتعـدا مكتئبـا جـم العنـاء
آده الحمـــل فأبـــداه كمــاش للـــوراء
جحظت عينـاه والساقان فـــي شــر أبتـلاء
لــم يطيقـا حمــل عبئين فصارا لالتــواء
فأرتمــى فــوق أديــم الارض يشكــو للسمـاء
جــور أهل الارض لا جــور تصاريف القضـاء
أنهك الدهر قـــواه فهـــو مــن داء لـــداء
لــم يجـد في جيبـه فلســا لطـــب أو دواء

سبعة أطفاله وهـــو لهـــم خيـط الرجـاء
فاذا عـــاد الـــى مسكنه عنـــد المســاء
يتهافون جميعـــا بصـــراخ وبكـــاء
فتـــرى هـذا كعـــار راكضا دون حـذاء
وتــرى الآخــر قــد أسقمـــه سوء الغـذاء
لـــم يذوقوا اللحم الا مـــن قتار مـن شواء
حملته الريح مـــن بعض بيـــوت الاثريـــاء
يأدمون الخبـــز أحيانـــا وقـــد جف بمـاء
ولكـم باتـوا مـع الام خماصـا فـــي عنـاء
والاب المسكيـن مـــا يفعلـه بعـد المسـاء ؟
أرهق النفس ولم يحصل علـــى قوت العشـاء
أرهـــق النفس ولـم يفتـــح يديـه للعطـاء
لــم يـذل الفقـر نفس الحـــر ذات الكبريـاء
فليجاز اللـــه مــن ينقـــذه خيـر جـزاء

حلب — محي الدين الحاج عيسى

وقد ذاقوا طعم العصا . وبسرعة ، قفز تجاه أحدهم وأمسك بـه مـن كتفه . كانت قبضته قوية ، وكان يخشى ان يتخلص التلميذ منـه ، غير ان التلميـذ استكان لقبضته ، وان كان قـد انكمش فــي بعضه كالقنفذ . كان الخوف باديـا علـى ملامحه ، وكأنه يجهد عقلـــه فـي محاولة تذكر الخطأ الذي ارتكبـه والذي من أجله وقع في براثن هذه القبضة العجيبـة . ولـــم يخفف المدرس من قبضته ، ومضت فترة ترقب من الجانبين : التلميـذ فـي خوف ، والمدرس في حيرة . الاول لا يدري سببا لهذه المسكةالفولاذية، والثاني لا يدري ماذا يقول . كـان المدرس في خيـرة حقيقية لا يدري كيف يبدأ الكلام . واخيرا سألـــه بصوت خافت ، متعمدا ان يكـون لينا هادئا :

ـ هل انت خائف ؟

لم ينطق التلميذ بحرف ، وشعر المدرس بشيء من الاسف . وانتبـه على التلاميذ .وقد تحلقوا حولهما ، محاولين اكتشاف او تخمين مـــا ارتكب التلميذ . وخيـــل للمدرس انه قد وقع في فخ ، وان عليـــه الآن ، ان يتخلص من هذا المأزق ، بطريقة مألوفة وحازمة فـي نفس الوقت ، فقال وهو يفـــرد أصابعه المطبقة على كتف التلميذ :

ـ مر علي فـــي المكتب فـــي الفسحة الثانية .

شق المدرس لنفسه طريقا بـين التلاميذ ، دون ان تلتقـي عينــاه بأحد منهم ، ومـــا ان ابتعد عنهم قليلا ، حتى أسرع فـــي خطـاه ، وجاهد كيلا يلتفت وراءه ، ودخـل حجرة المدرسين ، وارتمـى علـــى مقعده ، وقد أحس بـــأن جسمه منهوك ، وبأنه لا يقوى حتى علـــى النظر الى شيء ، فأغمض عينيـــه لحظة ، فتمثلت له الحقيقة سافرة، هناك ، في الفصل ، بين الجدران الاربعة ، وهو واقف علـى منصته كالتمثال ، لا يتحرك ، لا ينطق ، لا يرى، والتلاميذ امامه وقد تداخلت أطرافهم ، وغارت عيونهم محدقـة فيه ، يجاهدون محاولين الكـلام ، ولكن ماذا ؟ أصواتهم لا تخـــرج ، احجار متراصة، مشوهة . ارتعش جسمه كله ، وشعر كما لو ان شيئا مجهولا يدق علـــى راسه ، يكـاد يحطمه ، فلـــم يستطع ان يواصل الرؤيا ، ففتح عينيه ، فوقعت على الدفتر المفتوح امامه ، وعلى السطر الذي كان قد كتبه ، فتحامل على نفسه ، وامسك بالقلم ، وانحنـى يكمل الدرس الذي كان قد بداه .

القاهرة — مصطفى ابو النصر

منافسة غير عادلة

حسناء تعتمد في النقاش الادبي على جمالها لا على بيانها

★

بسطـوة مقلتيـك تناقشينـا   وتلقين الدليـــل فتفحمينـا
اذا أرسلت طرفك في ابتسام   أذبت بــه قـوى المتناظرينا
وان رجرحت صدرك في نقاش   رججت عقول قومـك أجمعينا
لصوتك فـي تناغمه صداح   بــه لا بالبيـان تسيطرينا !
ففكر فيــه لا فيمــا طواه   مـن المعنى فنذعن صاغرينا
لـك الاقناع يلجمنا ، ولكـن   بوجهك لا بقولـك تقنعينـــا
اذا سفرت محاسنـه تجلى   بحجته فرحنــا ملجمينا
شهرت جمالك الوضاء سيفا   فكان سلاحك البتــار فينا
اذا رجف المناظر فـي ابتسام   وخار ، فكيف شأن السامعينا
يروع الصمت منك بـلا نقاش   فكيـف اذا انطلقت تعارضينا
وان يصمت سواك يكن عييـا   ويصبح مثلـة للهازئينـــا
اذا اخطأت فـي معنى صريح   وجـدت تساهل المتسامحينا
وان يخطــا قريعك قاطعوه   وعالـــوا بالصواب منددينــا
فكيف يكـون أمركمـا سـواء   وانت كمـا نـرى تتحكمينا ؟
حديثك فـي مسامرة رقيق   الا فدعـى النقاش وسامرينا
اذا أرسلته عذبــا شهيــا   نقعت بـــه غليـــل الظامئينا
يهب على النفوس نسيم روض   فنتشق من شذاه الياسمينا
قرأت صحائف الحقب المراضى   وطالعت القـــرون الغابرينـا
فلـم اشهد لحـواء مقامـا   تبـز بـه الفحـول المعرقينـا
فلا تلجي عبابـا قـد ترامى   لدى بحر يهـول السابحينا
دعي فتنى الجدال الـى أناس   عذوا من سحر حسنك عاطلينا
امــا تكفيك ثروتـه ثـراء   فما لـك في البيان تزاحمينا
عرفت طريقه فشققت منـه   طريق السبق بين القائلينا
اراك مشـار الهــام لمثلي   ولكـن لا اخالـك تلهمينــا
نصحتك صادقا ومعي دليلي   يؤيدنـــي ، فكيف تكذبينـا
الا فضعي اللثام لـدى نقاش   فلا يعشى سنـاك الحاضرينا
وصوتك أرسليه بـلا رنـين   ليفقد شدوه الفريد حينــا
ولا تقفـي فيبهـر كـل راء   قوامـك حينمـا تمايلينـا
وقولي ما بـدا لـك بعد هذا   فلن تجدي نقاشـك يستبينا
هنـا نصغي لقولـك لا لشيء   سواه ، ومـا اراك تؤثرينـا

الفيوم ــ دار المعلمات   محمد رجب البيومي

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

عارف العزوني - محمود الفول منذر عنبتاوي

بقلم البدوي الملثم

***

١ - عــارف العـزونـي

في يافا عروس الساحل الفلسطيني ولد « عارف » عام ١٨٩٦ وتلقى علومه الابتدائية في كلية الفرير بمسقط رأسه واكمل دراسته الثانوية في مدرسة عينطورة بلبنان وبعد تخرجه عاد الى يافا وزاول الاتجار بالبرتقال مؤثرا العمل الحر على الوظيفة وعاش في بيئة رفيعة وصفها بقولـه :

« تربيت في بيت أهلي ، وتأثرت بالحضارة الاوروبية وتعرفت خلالها على بعض المستشرقين امثال البروفسور يهودا الانكليزي ، وعدا ذلك اتصلت بالسيد معروف الارناؤوط صاحب جريدة « فتى العرب » الدمشقية ومؤلف كتاب « سيد قريش » وبالشاعر الشعبي عمر الزعني وبالشهيد عبد الغني العريسي وبالاخوين محمـد ومحمود المحمصاني وكمال عباس وغيرهم مما جعلني أتأثر بهم منذ نعومة أظفاري .

وساعدتني الحياة كثيرا على حب الادب والرغبة فيه ، وهـذا يدلك دلالة واضحة على اثر البيئة في نشأة الانسان ، واحب ان اقول هنا انه كان لصداقتي واتصالي الوثيق بكبار الكتاب اثر في تنمية ملكة المطالعة الادبية والاهتمام بالمسائل الفكرية ، وكنت دائما اتحفز لمطالعة كتب الادب القديمة التي كانت متوفرة لي في مكتبة البيت بيافا » .

وبالاضافة الى الاعمال الحرة التي زاولها (عارف) مارس مهنـة التعليم في المدرسة الرشيدية بيافا (١٩١٢) وفـي مدرسة العلوم الاسلامية لمؤسسها المرحوم عارف البديري (١٩١٣) . وقبـل زوال الحكم التركي وبعده حرر في الصحف العربية التي كانت تصدر فى يافا وفـي طليعتها « فلسطين » و « الجزيـرة » و « الحريـة » و « الدفاع » و « الجامعـة الاسلامية » واول مقـال نشره فـي « فلسطين » عن حياة رابندرانات طاغور شاعر الهند الكبير .

وكان (عارف) من اوائل الكتاب العرب الذين نبهوا الى خطـر الصهيونية ونوايا الغدر والطمع فـي البلاد العربية . وكتب فـي « السياسة الاسبوعية » وراسل جريدة « الاهرام » مدة ثلاث سنوات وصحفا اجنبية اخرى . وفي عام ١٩٣٦ اصدر مجلـة « الفجـر » اليافية بالاشتراك مع الاديب القاص الاستـاذ محمود سيف الدين الايراني وقد التف حولها كبار الادباء في فلسطين ولبنان ومصر .

وخلال حياته الحافلة بالحيوية والنشاط زود القصة العربيـة بقصص طريفة لا تقل عن ٩٠ قصة موضوعة ومترجمة وقد نشر معظمها في كبريات الصحف والمجلات ومن ابرزها قصة « لاجيء » التي ترجمت الى الانكليزية ونشرت في الصحف الاميركية كأحسن ما كتب في وصف « اللاجيء الفلسطيني » !

وفي مقالاته كان يميل الى الادب الساخر ولا عجب اذا جـاء نتاجه زخما وهو الملم بخمس لغات حية هـي : العربية والتركيـة والفرنسية والايطالية والانكليزية .

وفي الحرب العالمية الثانية اعتقل فـي صرفند بتهمة الدعاية لدولتي المحور وبعد خروجه من المعتقل عين ملحقا صحافيا بين اللجنة القومية في يافا والصحف العربية المحلية ، وطفق يغذيهـا بمقالات قصيرة تتسم بالتوعية والتوجيه القومي .

وفي عام ١٩٤٨ ، وهو عام النكبة ، لجأ الى مدينة نابلس وعمل فترة في جريدة « فلسطين » خلال صدورها في عمان وما لبث ان عاد الى نابلس وعين معلما في احدى مدارس وكالة غوث اللاجئين ومراسلا لجريدة « البيان » النيويوركية لصاحبها الاستاذ راجي ظاهر . وزود اذاعتي « صوت اميركا » و « لندن » باكثر من ٢٥٠ حديثا اذاعيـا ، ونشر فصولا في مجلة « اسرار العالم » كما اذاع احاديث ثقافية مـن اذاعتي عمان والقدس ، ومن تلك الحلقات : اعلامنا الخالدون ، مـن اساطين الادب الغربي ، شعراء الوطنية .

وبعد ان هجر (عارف) التعليم في مدارس وكالة الغوث بنابلس عين قيما على مكتبة بلدية نابلس . وفـي ٧ - ١١ - ١٩٦١ فاضت روحه ودفن في المقبرة الغربية بنابلس ، تاركا بـين أوراقه خمس مخطوطات لم تنشر .

نموذج من نثره : « قد يتبادر الى اذهان الكثير من الناس انـه يفرض في صانع التوابيت ان يكون دميما ، شديد الوجوم والاطراق ، عميق التفكير والاحساس . وان ابرز ما فيه مـن الصفات العطف والاشفاق والشعور بهول تلك الهوات السحيقة التي تنتظر المخلوقات في مصايرها المحتومة . وهناك من تذهب بهم الظنون الى ان تلـك الصناعة تقتل في نفس ممتهنها الاثرة والانانية وتنمي فيـه الايثار وتحمله على الزهد والاعتقاد بان الموت من شانه المساواة بـين الجميع في قبورهم على الاقل .

لكن صانع التوابيت هذا الذي عرفناه وخبرناه عن كثب ، لـم يكن على شيء من تلك الصفات . كان هذا الرجل ربعة وسيم الوجه مرحا لا اباليا يتخذ تفكيره صورة عدم التفكير ، الا حين تمر به تلك الاشباح العابرة والقسمات الفانية . فتراه عندئذ منصرفا الى مقاييسه وبركاره ومثلثه واخشابه ، حتى يخرج من بين يديه تابوت ناعـم صقيل مريح هو تحفة التوابيت . ولا نستطيع ان نجزم بما اذا كـان صاحبنا فاقد الاحساس ، ميت العاطفة ، او ان احاسيسه تتفاعـل فيما وراء بشرته الصفيقة وتطل من عينيه فـي مواعيد لا نعرفها ، ولا يبعد ان يكون مشفقا عطوفا يؤثر على نفسه .

وكان همه الاكبر رواج صناعته ، واقبال الناس على الموت حتـى يبيع اكبر عدد ممكن من توابيته ولحوده الجاهزة . وهو يذكر جيـدا كيف كان لا يتوقف عن العمل ، حـين انتشار الاوبئة واشتـداد الازمات ، فيبارك عهده الذهبي ويلعن أيامه الحاضرة . فقـد أقبل الناس ، في صميم هذه الحرب الضروس وبرغم غلاء المعيشة علـى الزواج واعرضوا عن الموت ... انهم لا يموتون كالعادة ... انه لا يبيع اكثر من تابوت واحد في الاسبوع ... ها هي صناعته تبور ... ولو كان بائع ألبسة لاثرى ... الحكومة هي المسؤولة لانها هـدت الناس الى طريق الوقاية وحمتهم بامصالها وحقنها وابرها !

فوجيء صانع التوابيت ذات يوم بوفاة ابن عم عزيز عليه ، وقـد اخرجته هذه المفاجأة عن طوره ، فامعن الفكر بمصير كل حي وبوشوك انحلال كيانه وتفسخ عناصره وتبدده نهائيا كما تذوب الخرقة الترابية.

فكر مليا بالحياة ونظامها وفوارقها ، واتجه اكثر ما يكون بوعيـه الكامل نحو الغنى والفقر والنعمة والبؤس والراحـة والكدح ، ثـم تخطاها الى الآخرة وتصور النعيم المقيم والجحيم المتأجج النيـران ، فشعر ان هناك ايضا تفاوتا ومراتب ودرجات وخفضا ورفعا على نسق ما نحن عليه في دنيانا . وازعجه مـا وعد بـه المتقون وما رصد

للكافرين .

ثم بدأ يفتن بصنع تابوت ابن عمه ، فاختار لـه خشب الزان وحشاه بالقطن وفرشه بالقطيفة وشيع الجنازة مع المشيعين . ولما آوى الى بيته واستلقى على فراشه واستسلم الى النوم رأى أنه ينتقل في شبه سياحة عجيبة في جوف الارض كسياحات « جول فرن» الخيالية ولكنها استعصت وأبت ان تفضي به الى السطح عن طريق فوهة بركان منطفىء كما كان يقدر . وانتهت به الى بحر خضم التفت عند شاطئه جماهير عرف البعض منها حين ازاحت الحطام وانسلت من توابيتها ... توابيته هو ... عمل يده ... كان قد صنعها على مدى زمن طويل ، ورأى في امتداد النظر فوق البحر جسرا مخلخلا ليس له نهاية والناس يعبرون عليه بحذر الى الجانب الآخر ثم يختفون فيما وراء الافق البعيد !

وقد اكتنفه جو بارد وشعر ان اطرافه تهرأت من شدة الصقيع ، ولما افاق من نومه وهم بالقيام لم يجد الى القيام سبيلا فقد تيبست اعضاؤه وخارت قواه وظل مستلقيا على ظهره فوق سريره زهاء اسبوع يعاني الآلام الجسدية والنفسية : لماذا لا اترك هذه الصناعة البائرة ؟ مالي اصر على تجهيز الناس بالتوابيت فـي رحلتهم الاخيرة ؟ انها قسوة ممقوتة ... لماذا لا اساعد على عمل الطبيعة في ناحية اخرى.. ناحية الخلق والابداع ... ها قد اقبل الشباب على الزواج وعما قريب يكثر عدد الاطفال وتينع تلك الزهرات الناعمة ... انها مفتقرة الى مهود تتارجح فيها يمنة ويسرة .

فكر صانع التوابيت مليا في هذا الامر والقى نظرة اشفاق على ماضيه وتفرس في اربعين سنة من سني العمل خلفا وراءه كانت مزيجا من الرحمة والنقمة في ظل الموت . ها قد صمم ان ينحرف عن الظل القاتل ويتجه نحو الحياة . ولكن الموت الذي كان عجلان يحصد الارواح على قارعة الطريق ثم ونت عزيمته ، هتف به من جديد كهتاف ابي الهول حين خروجه عن صمته في صميم العتمة : تعال ... تعال ... الى اين انت ذاهب يا سيد ؟ أتصنع مهوداً لفرائسي وضحاياي ؟

ـ دعني وشاني ، اريد ان اصنع مهودا لجيل جديد هو المهيأ لتغيير الاوضاع .

ـ سيضلون الطريق ... ارجع الى عملك وآزرني في مهمتي ، فانك اذا طلبت الموت اعطيك الحياة !

ـ أضاليل .. أحابيل ... خداع ... كلمات براقة جوفاء !

صانع التوابيت هذا الذي هجر مهنته واحترف صناعة المهود والسرائر الخشبية معروف في جميع الاوساط . ومن يحدق في وجهه اليوم يظنه شابا في الثلاثين بينما قد تجاوز الستين ... وما ذلك الا لانه مهد لجيل طالع جديد ... اما الفروع الذابلة فانها تموت من تلقاء ذاتها !

دعوا الاموات يدفنون موتاهم ، أما أنا فسأفسح المجال للاحياء !»

٢ ـ الدكتور محمود الغول

ولد في « سلوان » احدى ضواحي بيت المقدس عام ١٩٢٣ ودرس في كتاب قريته وانتسب لـ « كلية روضة المعارف » مـدة خمس سنوات (١٩٣١ ـ ١٩٣٥) والتحق بـ « المدرسة الرشيدية » مـدة اربع سنوات (١٩٣٥ ـ ١٩٣٨) ودخل « الكلية العربية» وامضى فيها خمس سنوات (١٩٣٨ ـ ١٩٤٢) ، وبعد ان نال الشهادة منها عين معلما في ثانوية الخليل (١٩٤٢ ـ ١٩٤٣) وما لبث أن نال بعثة مجانية على نفقة مديرية المعارف العامة بفلسطين وانتسب عام ١٩٤٣ الـى جامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة اليوم) وكان اختصاصه الادب العربي واللغات السامية ونال منها شهادة « ليسانس آداب » بامتياز وعـاد الى بيت المقدس وعين محاضرا في « الكلية العربية » (١٩٤٦ ـ ١٩٤٨). وبعد النكبة الكبرى التي هزت العرب من المحيط الـى الخليج هزا عنيفا عاد الى القاهرة وعين مدرسا فـي المدرسة الانكليزيـة بالسويس ، وفي عام ١٩٥٠ عين استاذا للغة العربية فـي التجهيزية الاولى بحلب وفي عام (١٩٥٠ ـ ١٩٥١) التحق استاذا في « كلية المقاصد الخيرية الاسلامية » ببيروت وامضى فيها سنة وبعدها عـين استاذا في « المدرسة المباركية » بالكويت (١٩٥١ ـ ١٩٥٢) وما لبث ان عاد الى سورية وعين استاذاً في ثانوية ابـن خلدون (١٩٥٢ ـ ١٩٥٣) .

وفي أول تأسيس « دار المعلمين » في عمان (١٩٥٣ ـ ١٩٥٤) عين استاذا للادب العربي وبعد عام انفك من عملـه وقصد بريطانيا وعين استاذا للغة العربية في « معهد الدراسات الشرقية » بجامعـة لندن (١٩٥٤ ـ ١٩٥٩) ثم بارحها الى اسكتلندا وعين استاذا للغات السامية في « جامعة سانـت اندروس » بمدينـة سانت اندروس (١٩٥٩ ـ ١٩٦٤) . وخلال عمله استاذاً فـي هذه الجامعة قصد مدينة لوس انجلس (الولايات المتحدة) وعمـل استاذا زائرا فـي « جامعة كاليفورنيا » ونال شهادة الدكتوراه من جامعة لندن عـام ١٩٦٢ وفي عام ١٩٦٤ قام برحلة علمية الـى البلاد العربية لدراسة اللهجات واللغات في تهامة وعسير والقى محاضرات تاريخية فـي العواصم التي زارها ومنها محاضرة قيمة بعنوان : « نقوش الجزيـرة العربية قبل الاسلام » ، وقيمتها لدراسة التراث العربي » .

وفي شتاء عام ١٩٦٦ شد الدكتور الغول الرحال الى السعودية وكلفته جامعة الرياض بالتجول فـي المناطق الاثريـة وتصويرهـا ودراستها ، فاكتشف في شمالي المملكة العربية السعودية مـا وصف بانه مدينة أثرية كاملة . وعثر في اطلال هذه المدينة علـى منحوتات ضخمة دقيقة الصنع تكثر فيها تماثيل حيوانات مائية بـين سلاحف واسماك .

ويميل الدكتور الغول الـى الاعتقاد ان المدينة الاثرية التـي اكتشفها ربما كانت مدينة « بدنة » التي ورد ذكرها فـي المؤلفات اليونانية والرومانية القديمة باسم « ميد نيتا » .

من آثاره القلمية :

١ ـ رسالة فن الشعر ـ لهوراس الشاعر الروماني : ترجمها عن اللاتينية بمقدمة وحواش وشروح ونشرت في الجزء الاول مـن كتاب (البدائع) الذي اصدرته (جمعية احياء الدراسات الكلاسيكية) فـي جامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة فيما بعد) عام ١٩٤٥ .

٢ ـ فكرة الشرق والغرب ـ نشوءها وتطورها في حضارات البحر المتوسط ـ محاضرتان نشرتهما مجلة (الحديث) الحلبية لصاحبهـا الاستاذ سامي الكيالي في عدد خاص عام ١٩٥٠ .

٣ ـ مقالات في النقد والادب ـ محاضرة نشرت فـي المجلات اللبنانية والسورية الراقية خاصة في مجلة (النقاد) الدمشقية .

٤ ـ المصادر العربية الاسلامية ونقوش الجزيرة العربية قبـل الاسلام ـ دراسة مقارنة بالمصادر الاسلامية على ضوء النقوش .

٥ ـ الانياذة : لفرجيل ـ نقل هذه الملحمة اللاتينية الكبرى الى العربية واستغرق نقلها ثماني سنوات (١٩٤٣ ـ ١٩٥١) .

نموذج من نثره : « يقتصر بحثنا هنا على صورتين ادبيتين همـا القصة الطويلة والاقصوصة او القصة القصيرة . وهاتان الصورتـان القصصيتان دخيلتان عندنا لا صلة لهما بما كان في القصة العربيـة قبل النهضة الحديثة من قصص كتغريبة بني هلال او سيرة عنترة او سيف بن ذي يزن وغيرها من القصص الطويلة ولا بالف ليلة وليلـة والمقامات والحكايات من القصص القصير . وهذه القصص القديمـة صورة ادبية لها مقاييسها الخاصة واذا قيست بها كانت مـن أروع ما يناظرها ، وليس يضيرها ان لا تنطبق على مقاييس القصة الحديثة وان قارنتها احيانا وشابهتها مشابهة قوية . والفرق الاساسي بـين الصور القصصية القديمة وبين القصة الحديثة ان الاولى تقوم علـى

الحوادث ، بينما الثانية تقوم على تحليل الشخصية وتصوير الدوافع والنوازع .

وقد دخلت القصة ادبنا العربي في اواخر القرن التاسع عشر واول القرن العشرين من بابين : باب الترجمة وباب التاليف . كان التمثيل قد لاقى نجاحا شعبيا في ذلك الوقت وكانت القصص كلها تمثيلية او غير تمثيلية تسمى « روايات » وكانت كلها تقريبا منقولة او مقتبسة عن اللغات الاجنبية . وشجع ذلك بعض المشتغلين بالصحافة ان ينشروا في جرائدهم قصصا مترجمة مسلسلة او ان يترجموها كاملة في كتب . وكانت هذه القصص لا تكاد تعنى الا بتتابع الحوادث ولا سيما اذا كانت شائقة قائمة على المخاطرات والمغامرات كملا نلاحظ في معظم القصص التي ترجمها طانيوس عبده وفرح انطون مثل روكامبول وغيرها .

وكان الذين يودون نقل القصة الاوروبية الحديثة الرائعة يصطدمون بعقبة رفعة الاسلوب اذ كان لا بد من اسلوب فخم جزل ترضاه الخاصة . فوجدنا لذلك رجلا كالمنفلوطي يرضى ان تترجم له القصص بمعانيها وحوادثها ثم يصوغها بعبارة فخمة جزلة اللفظ ترضي اذواق الخاصة من معاصريه . ونجحت طريقة المنفلوطي زمنه وبعده وتابعه قوم من اشهرهم احمد حسن الزيات في ترجمة « آلام فرتر » و « روفائيل » بل لقد حاول حافظ ابراهيم مثل ذلك في ترجمته لكتاب « البؤساء » لفكتور هوجو .

غير ان الناس بدأت اساليبهم ترق وتسهل ، وكان لادباء المهجر من ناحية لغة الصحافة الراقية كالمقتطف والهلال فضل لا ينكر في ذلك . وفي الوقت الذي كان فيه مخائيل نعيمة يكتب مقالات « الغربال » النقدية نشر الدكتور احمد زكي قصة « مارغريت او غادة الكاميليا » مترجمة ترجمة دقيقة صحيحة سهلة وكان من حسن حظها ان قدم لها الدكتور منصور فهمي « مدرس الفلسفة بالجامعة المصرية » فشرح قيمة القصة بوجه عام وغرضها مميزا بين القيمة الخلقية لحوادث هذه القصة وبين القيم الانسانية لشخصياتها ودراساتها الاجتماعية .

واتسعت حركة الترجمة بعد ذلك . ومما يؤسف له ان الشعبية « العامية » كانت أقوى اثرا من الناحية الفنية الصحيحة في الترجمة ولذا نجد هذا السيل الطامي من القصص البوليسية او القصص الادبية المختصرة او المحورة كالتي تصدر عن روايات الجيب في مصر مثلا . بل لقد وجدت سلاسل قصصية كانت شرا في موضوعاتها واسلوبها من روايات الجيب مما ساعد على الابقاء على الفكرة القديمة التي تعتبر القصة ضربا من الحكايات يقل شرفا عن ضروب الادب الاخرى ، ان لم تكن مفسدة .

ووجد كتاب مجيدون ترجموا بعض القصص ترجمات جيدة ولكن كلا منهم كان يختار ما يحلو له ، فلم نجد لذلك ترجمات جيدة وافية لاعلام القصصيين الاوروبيين مثل تولستوي ودستويفسكي وبروست وديكنز وهاردي غيرهم .

اما القصة الطويلة المكتوبة باللغة العربية فهناك خلاف في تعيين بدايتها . فلعلي مبارك باشا قصة « علم الدين » في القرن التاسع عشر لكنها اقرب الى ان تكون رحلة . وقد حاول محمد المويلحي في « حديث عيسى بن هشام » أن ينفذ الى القصة عن طريقة اسلوب المقامات كما حاول حافظ ابراهيم مثل ذلك في « ليالي سطيح » ولكننا لا نعتبر كتابيهما قصصا حديثة . أميل الى القول ان قصص جرجي زيدان التاريخية هي بداية القصة العربية الحديثة ولكن محمود تيمور في كتيب له عن القصة يغفل ذكر زيدان ويرى ان « زينب » التي نشرها الدكتور محمد حسين هيكل قبيل الحرب العالمية الاولى هي أول قصة صحيحة مكتملة العناصر الفنية .

وفي لبنان لا يزال كتاب زاولوا القصة مثل نعيمة وعمر الفاخوري وكرم ملحم كرم ولكنهم لم يقصروا فنهم على القصة كما فعل توفيق الحكيم ولم ينتجوا فيها انتاجه .

وفي السنوات العشر الاخيرة قام جماعة من الشبان المصريين مجتمعين في « لجنة الجامعيين للنشر » فكتبوا عددا من القصص الطويلة ومن هؤلاء احمد علي باكثير وعبد الحميد السحار ونجيب محفوظ وعادل كامل وغيرهم . وميزة هؤلاء انهم على اطلاع كاف على القصة الاوروبية لمعرفتهم لغات اجنبية ، وهم في هذا مثل توفيق الحكيم وادباء لبنان الذين ذكرتهم ، ولكن قام كتاب ممن لم تتيسر لهم ثقافة جيدة في الآداب الاوروبية فكتبوا قصصا طويلة كما فعل محمد سعيد العريان ، وكانت نماذجهم القصص المترجمة او قصص القصصيين العربية . ولا بد ان يبدو على مثل هؤلاء مهما وهبوا من مقدرة واضطراب في بناء قصتهم ، ولن يكون ثمة محيص للكاتب القصصي ان يستأنس دائماً بقراءة القصص الاوروبية في لغاتها الاصلية او في ترجمات جيدة الى لغتنا او الى لغات اخرى نعرفها .

والقصة العربية القصيرة اوفر حظا من القصة الطويلة من حيث الانتشار واقبال الكتاب عليها ، واول من اشتهر بالقصة القصيرة محمود تيمور ، ويكاد ان يقصر كتابته عليها وان كتب بعض التمثيليات وقصة طويلة او قصتين .

ووفق تيمور لما في قصصه من ملاحظة بارعة وواقعية دقيقة في وصف حياة الناس ولا سيما اعمارهم . وقد كتب فيها لذلك توفيق الحكيم وابراهيم عبد القادر المازني ، ومن الشبان الذين يكثرون الكتابة فيها في مصر اليوم صلاح ذهني ، وعبد الرحمن الخميسي وبنت الشاطىء وسعد مكاوي وابراهيم الورداني . اما في لبنان فقد أجاد في القصة القصيرة مخائيل نعيمة وتوفيق يوسف عواد وخليل تقي الدين. اما سعيد تقي الدين فقد شارف الذروة في الاجادة ولا سيما في صياغة الحوادث واستخدامها اداة طيعة لفكرته رغم ما يؤخذ عليه احيانا من ضعف في العبارة جعل يتعمده آخر الامر كأنما يغطي على الضعف عامدا » .

٣ ـ الدكتور منذر عنبتاوي

يتأسى الدكتور عنبتاوي ، في تاملاته وانطباعاته ، قول الكاتب المسرحي الاميركي « آرثر ميلر » : «السنة كتاب، وكل يوم نفتح صفحة بيضاء ، وعلينا ان نرسم على تلك الصفحات شيئا خالدا لوطننا » .

ولد « منذر » في نابلس بفلسطين وانهى دراسته الثانوية في كلية النجاح الوطنية عام ١٩٤٥ . والتماسا لثقافة عامة قصد القاهرة عام ١٩٤٦ وانتسب للمدرسة الابراهيمية الثانوية ، وعاد الى بيروت طلبا للعلم في الجامعة الاميركية وانهى صفي « الفرشمن » و « الصوفومور » (١٩٤٧ ـ ١٩٤٩) ثم بارحها الى جامعة الاسكندرية ودرس الحقوق ونال الشهادة (١٩٤٩ ـ ١٩٥٣) .

وقصد هولندا ونال الدبلوم العالي في الادارة العامة من معهد الدراسات الاجتماعية ب « لاهاي » عام ١٩٥٩ ، وما لبث ان انتسب الى جامعة خرونتجن بهولندا ونال الدكتوراه في القانون الدولي عام ١٩٦٢ .

واقبل « منذر » على المجال العام فعين عضوا في ادارة التشريع والقضايا ومحاميا للحكومة الليبية في طرابلس (١٩٥٤ ـ ١٩٥٦) ثم عاد الى الاردن وعين مساعدا للنائب العام بعمان فقاضي صلح لمدينتي الزرقاء ونابلس ومدعيا عاما لعمان (١٩٥٧ ـ ١٩٥٨) . وما لبث ان انفك عن عمله في وزارة العدل الاردنية ليعمل مستشارا في الادارة السياسية بوزارة الخارجية الكويتية (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) . وسرعان ما لبى نداء وطنه المغصوب فعين مندوبا لمنظمة التحرير الفلسطينية في الشرق الاقصى فمديرا عاما للصندوق القومي الفلسطيني (١٩٦٥) ، وفي هذا العام انشئت في بيروت « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » فعين نائبا لمدير هذه المؤسسة بالاضافة الى

تدريسه القانون الدولي في جامعة بيروت العربية في العاصمة اللبنانية .

من آثاره القلمية : صنف الدكتور عنبتاوي مجموعة من الكتب وقد قصرها على الوحدة العربية والقضية الفلسطينية ، كما القى محاضرات حيال قضية العرب الاولى . ودونك اسماء وعناوين ما وقفنا عليه من آثاره :

١ ــ التعبير القانوني للوحدة العربية (باللغة الانكليزية) طبع عام ١٩٦٢ .

٢ ــ الوثائق الفلسطينية السنوية (من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية) طبع عام ١٩٦٥ .

٣ ــ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية (من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية) (اسهم في وضعه الدكتور منذر) طبع عام ١٩٦٤ .

٤ ــ ليبيا طريقنا الى مراكش (مجموعة محاضرات) .

٥ ــ مهمة فلسطينية في الشرق الاقصى : محاضرة القاها في عمان ١٩٥٧ .

٦ ــ التنظيم الصهيوني في فلسطين خلال فترة الانتداب : محاضرة القاها في بيروت ١٩٦٦ .

٧ ــ صراعنا مع اسرائيل في آسيا وافريقية : محاضرة القاها في بيروت ١٩٦٦ .

٨ ــ اتفاقيات الهدنة وحقوق عرب فلسطين : محاضرة القاها في بيروت ١٩٦٧ .

٩ ــ المخططات الصهيونية ومنجزاتها في افريقيا (مخطوطة) .

وفي عدد خاص بالقضية الفلسطينية اصدره الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر من مجلته « الازمنة الحديثة » الباريسية ، وقد افسح فيه المجال للحوار بين الكتاب العرب والكتاب اليهود ليشرح كل طرف وجهة نظره حول اسباب النزاع العربي ــ اليهودي والحلول المقترحة للتوصل الى حل لقضية فلسطين ، نشر الدكتور « منذر » مقالا قيما بعنوان « بعض النزعات المتاصلة في الحركة الصهيونية » .

نموذج من نثره :

« قبل حوالي خمسين عاما لم يكن لدى الفنان البلجيكي اللاجىء في منزل الاديب الهولندي من شيء يقدمه الى مضيفه الكبير لقاء اقامته في منزله طيلة سنوات الحرب العالمية الاولى سوى لمسة من فنه العبقري . وفي تردد وارتباك قال له وقد ازمع على الرحيل : اعترف بانني عاجز عن الوفاء بما قدمته لي . ولكن هل تسمح لي بصنع تمثال صغير لابنتك الصغيرة لينيكه ؟ واجاب والدها : بكل سرور اذا كنت قادرا على اقناعها بالجلوس ! وعبثا حاول الاثنان : الفنان والاب اقناع لينيكه التي كانت تبلغ من العمر عشر سنوات بالجلوس مدة تكفي لكي يقوم الفنان بانجاز عمله . فقد كانت منذ نعومة اظفارها شعلة من النشاط والحركة . واعادا المحاولة يوما بعد يوم دون جدوى .. الى ان خطرت للاديب الكبير فكرة قام على اثرها يلتقط كتابا من مكتبته العامرة ويعرضه على ابنته الصغيرة . وجلست الفتاة ولفت نظرها من الكتاب غلافه الغريب .. فسكنت في مكانها .. وما ان قرأت فيه بضعة اسطر حتى ثار في نفسها اهتمام غريب لمتابعة القراءة .. وهكذا نسيت نفسها وهي تلتهم الكتاب التهاما ! ولما انتهى الفنان من اكمال عمله كانت لينيكه لا تزال في مكانها تتابع بشغف قراءة الكتاب الذي كانت تحتضنه : الف ليلة وليلة !

ومرت لعب وكتب كثيرة بين يدي لينيكه في الايام والشهور والسنوات القليلة التي تلت ذلك ولكن شيئا لم يثر خيالها واهتمامها قدر ما اثاره كتاب الف ليلة وليلة ! وكانت اولى نتائج هذا الحدث الفريد في طفولتها ان كشف عن مواهبها الفنية والشعرية التي كانت حتى ذلك الوقت دفينة تنتظر ساعة الانطلاق . وهكذا بدأت تمارس الرسم والنحت والعزف على البيانو .. وقرض الشعر ! وما هي الا سنوات قليلة حتى اكتشفت في نفسها طموحا شديدا الى التخصص في الفنون فارسلها والدها الى باريس لدراسة الرسم والنحت والموسيقى . وبعد فترة قصيرة من الدرس والتحصيل بدا فيها تفوقها الواضح على اقرانها وجدت نفسها فجاة امام من تصورته احد اشخاص الف ليلة وليلة! وهكذا تزوجت ! وكان زوجها مهندسا مصريا التقت به في باريس .. وعندما ركبت الباخرة لاول مرة متجهة بها نحو مصر كانت اقصى امانيها ان تصل الى البلاد التي تمثلت فيها بنظرها احداث الف ليلة وليلة !

وعندما وصلت الى مصر رافقت زوجها الى المعصرة بين حلوان وطرة في ضواحي القاهرة حيث كان يقطن في منزل يطل على اطراف الصحراء قريبا من مصنع الاسمنت الذي كان يعمل فيه . وكانت اول نصيحة قالها لها زوجها وهو يغادر منزله الى مقر عمله : اياك والتعامل مع اولاد البلد من العرب او الاتصال بهم او الخروج وحدك من المنزل فانه لا يؤتمن جانبهم ولا يتورعون عن منكر ! ونزلت هذه النصيحة نزول الصاعقة على الطفلة التي كبرت وهي تعيش في حلم من احلام الف ليلة وليلة !

ولم تصدق ما قاله زوجها وخرجت الى شوارع البلدة وتجولت فيها ساعات دون ان يتحرش بها انسان . وفي الايام التالية تحدثت الى صاحب الدكان المجاور ودخلت بعض المحلات التجارية ومحلات البقالة ورأت نفسها ماخوذة ببساطة ابن البلد المصري طيبته ومرحه واصالته .. الى ان جاء يوم ارادت فيه ان تكتشف الصحراء وسرها. فسارت وحيدة مسافة طويلة الى ان شعرت انها قد فقدت طريقها ولم تعد قادرة على العودة . وسارت على غير هدى الى ان تبينت لها معالم خيمة (او بيت شعر) فاقتربت منها لتجد فيها بعض الاعراب . فجزعت بادىء الامر ولكن الرجال هبوا لدعوتها . ودون سؤال قدموا لها كوبا من الماء وفنجانا من القهوة المرة ولم تكن قد ذاقتها من قبل . وبعد استراحة قصيرة رافقوها الى المعادي وهي في ذهول من فرط طيبتهم وشهامتهم وكرمهم . وبقدر ما اكدت هذه الحادثة صدق حدسها وصحة نظرتها الى العرب بقدر ما اثارت سخط زوجها وثورته عليها لاهمالها نصيحته . واخذت علاقتها بزوجها تسوء يوما بعد يوم .. الى ان اكتشفت سر كراهية زوجها للشعب المصري . فقد تبين لها انه لم يكن عربيا وانما كان اجنبيا متمصرا لم تربطه بابناء ذلك الشعب الطيب اية رابطة . واكتشفت انها اخذت تتعلق بابناء البلد وبطبيعة حياتهم اكثر من تعلقها بزوجها وبطبيعة حياته المادية . واكتشفت الحقيقة الكبرى الثانية وهي انها عندما احبته وتزوجته في باريس انما كانت تحب فيه مصر والعرب والشرق فلما سقط القناع عن وجهه سقطت كل فضائله ولم يبق منه سوى صورة لاجنبي ناكر للجميل آوته مصر وتقبله شعبها الطيب ويسر له كل سبل الحياة الكريمة فحصل على الجنسية ليتساوى مع ابناء مصر في ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ومع ذلك فلم يكن لكل ذلك في نظره من معنى سوى امتصاص اكبر قدر ممكن من خيرات مصر واستثمار عرق اكبر عدد ممكن من ابنائها .!

وهكذا لم يكن هناك بد من الانفصال ثم الطلاق . وعندما عادت الى بلادها في عام ١٩٣١ لم يكن يؤرقها شيء سوى اضطرارها ترك تلك البلاد التي اخذت بلبها .

ومنذ ساعة وصولها الى هولندا اخذت تتحدث بشوق عن سحر الشرق وفاتنه وعن طيبة العرب وكرمهم وصدق مشاعرهم الى ان مل والدها هذا الحديث فقال لها ذات يوم : « كفى الحديث عن القشور. اذا أردت فعلا ان تعرفي حقيقة العرب فاقرئي هذا الكتاب » . ودفع اليها هذه المرة بكتاب صديقه جوستاف لوبون الشهير « حضارة العرب » وكما تجاوبت مع الف ليلة وليلة قبل ذلك بسنوات كذلك

كان تجاوبها مع حضاره العرب . وكان هذا الكتاب نقطة التحول الكبرى الثانية في حياتها وذلك انها لم تكن قد فرغت منه حتى اخذت تبحث في كل ما كتب عن حضارة العرب وتاريخهم القديم .

وما هي الا فترة قصيرة حتى انغمست كلية في دراسة حضارة العرب وتاريخهم ولما استشعرت في نفسها الماما كافيا في الموضوع اخذت تكتب وتحاضر في هذين الموضوعين كلما سنحت لها الفرصة . وفي هذه الاثناء التقت بالرجل الذي يمكن ان يقال عنه بحق انه اكمل نصف دينها : كيس وولتجر الرجل الذي لا تستطيع منذ تزوجته ان تخطو خطوة بدونه والذي يرجع اليه الفضل الاول في ما وصلت اليه هذه السيدة العظيمة . كان كيس محاميا ناشئا عندما تزوجته في عام ١٩٣٤ ولم يكن يعرف من امر العرب شيئا ، لا ماضيا ولا حاضرا . الا ان حبه لزوجته واهتمامها بتاريخهم وحضارتهم خلق عنده فضولا عجيبا للقراءة عنهم . وهكذا احبهم من خلال حبه لزوجته . واذا كان حبها لزوجها الاول كان من خلال حبها للعرب فقد كانت بداية تعلق زوجها الثاني بهم من خلال حبه لها . والغريب في الامر ان ارتباطه بزوجته قد زاد بعد ان درس تاريخ العرب وحضارتهم . ونراه اليوم لا يقل حماسا عن زوجته في العمل من اجل العرب وقضاياهم . ولما كان اسمه الاول هو كيس واسمها الاول هو لينيكه فقد عن على باله ذات يوم ان يطلق عليها اسم ليلى . وهكذا عرفنا منذ سنين بالاسمين العربيين الخالدين : قيس وليلى !!

وجاءت النكبة في عام ١٩٤٨ ولم تكن ليلى على صلة باحداث العرب المعاصرة . كانت تعيش مع ماضيهم : مع تراثهم وتاريخهم .. وامواتهم . الى ان جاءها زوجها حزينا ذات يوم وقال لها : لقد عملت طويلا من اجل عرب الامس ولكن عرب اليوم هم اليك احوج !

وهكذا سمعت بقضية فلسطين وما يجري فيها لاول مرة فقد كانت في شغل عن العرب الاحياء بالعرب الاموات ! وكانت تلك نقطة التحول الثالثة في حياتها .

اخذت ليلى تدرس قضية فلسطين وتبحث عن اصولها وفروعها الى ان وصلت الى النتيجة التي يصل اليها كل انسان ذو ضمير حي. فقد اذهلتها المأساة وصدمتها حقيقة الصهيونية والجرائم التي ارتكبتها على ارض فلسطين . واصابت ضميرها رعشة قوية عندما تبينت الدور المخزي الذي لعبه الغرب في التآمر على الحقوق العربية واقامة دولة دخيلة في قلب الارض العربية .

وحتى لا يتصور احد للحظة من اللحظات انها كانت ذات ميول نازية او لا سمية كما يفعل اليهود الذين يحاربونها ويحاربون زوجها بلؤم ودناءة في هولندا منذ سنوات ، حتى لا يتصور احد ذلك نسارع الى الاشارة بان ليلى اشتركت فعليا في المقاومة السرية للاحتلال النازي لبلادها خلال الحرب العالمية الثانية . وقد القت قصيدة شهيرة في اول احتفال اقامته بلدية مدينة لاهاي بمناسبة جلاء القوات الالمانية عن هولندا كما انها صنعت تمثالا خلدت فيه المقاومة الهولندية لهذا الاحتلال لا يزال معروضا حتى اليوم في المتحف الحربي الهولندي في مدينة لايدن .

وخلال عامي ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ قامت ليلى وزوجها برحلتين الى البلاد العربية زارت فيهما الاردن وسوريا ولبنان ومصر وليبيا وتونس بالسيارة .

ومن ذكرياتها في هذا ما حدث ذات مساء عندما كانا يتوجهان بسيارتهما من رام الله الى نابلس في طريقهما الى الخطوط الامامية في طولكرم . فقد اوقف زوجها السيارة عند قرية سنجل ليتأكد من انه كان يسير فعلا على الطريق الموصل الى نابلس . وكانت تقف قريبا منهم على الشارع العام سيارة بيك ـ آب قديمة يجلس فيها بعض العمال العائدين من عملهم . وعند سؤال العمال اجاب هؤلاء بانهم متجهون الى نابلس ونصحوا السائل الغريب ان يتبعهم عندما تتحرك سيارتهم بعد قليل . وكان اثنان من العمال يشتريان العنب من الدكان ـ المحطة عندما لمحا السيارة الغريبة فاتجها نحوها وقدما كمية من العنب الى ليلى وزوجها الا انهما اعتذرا عن قبولها فاصر العاملان. وهنا اخذ قيس يتحسس جيوبه في ارتباك ثم قال : آسف ولكن ليس لدينا نقودا اردنية في هذه اللحظة . وهنا قال احد العاملين باسما : عيب ! من قال ان عليكم ان تدفعوا ثمن العنب . انكم هنا ضيوف في بلادنا ومن حقكم ان تذوقوا ثمارها !

ولم تستطع ليلى رغم تعاقب السنين ان تنسى كوبا من الماء وفنجانا من القهوة المرة قدمهما لها اعراب في صحراء حلوان ذات يوم قبل حوالي ثلاثين عاما عندما كانت في حالة يرثى لها من الاعياء والعطش والخوف ولا بضعة عناقيد من العنب حملها اليها بعض العمال العرب على طريق رام الله ـ نابلس ذات مساء قبل عشرة سنوات ولا المساعدة الهائلة التي بذلها لها ولزوجها مواطنون من ليبيا عندما كسرت بهما السيارة على طريق بنغازي ـ طبرق ذات يوم من نفس السنة ... كل ذلك بدون مقابل ولمجرد ان ليلى وزوجها كانا يزوران ارضا عربية !!

وكنت كلما رأيت ليلى تحرق اعصابها وهي تعمل في ابحاثها وكتاباتها ومحاضراتها دفاعا عن حقوق العرب المهضومة في فلسطين تذكرت قصور العرب الفاضح في حق انفسهم .. وكنت اقول لها في تلك الساعات : هل نستحق يا ليلى منك ومن زوجك كل هذا الاخلاص والتفاني من اجل قضيتنا .. وكانت دوما ترد قائلة : اذا كنت سأنسى ما فعله الغرب بكم والجريمة التي ارتكبها بحقكم وهو امر مستحيل فهل استطيع من ناحية شخصية ان انسى ما قدمه افراد عاديون من مواطنيكم لي شخصيا ولزوجي في ساعات ضياع او محنة !؟

واذكر انها حزنت حزنا شديدا خلال عام ١٩٦١ على وفاة كلبتها وكانت رفيقتها الوحيدة في المنزل اثناء غياب زوجها عنه . ويوم وفاة الكلبة دخل زوجها المنزل ليرى زوجته تعيسة حزينة وكانت تبكي كالاطفال . حاول جهده التخفيف عنها دون جدوى . واخيرا قام الى احد الرفوف .. واتى لها « بصينية » تقدم عليها القهوة والشاي وقال لها مشيرا الى الصورة المثبتة تحت زجاج الصينية : اذا كان لا بد من البكاء فان هؤلاء احق به واجدر .. وكانت الصورة تمثل مجموعة من العائدين العرب وهم يقفون في ثيابهم الممزقة امام خيامهم البالية .

كانت ليلى تحدثني في منزلها عن وفاة الكلبة بعد حدوثها بيومين وكانت تقول : قد تستغرب حزني الشديد على حيوان ولكن لا تنسى ان هذا الحيوان كان حيوانا وفيا وامينا ونحن كما ترى نعيش في عصر عز فيه الوفاء والامانة بين بني الانسان ! وعندما وصلت الى الحديث عن زوجها وصينية القهوة قامت لتريني ماذا فعل واتت بالصينية ووضعتها على حجرها وقالت : ولقد اتى لي بهذه الصينية وقال .. وما انهت جملتها حتى كانت الدموع تنهمر من عينيها بغزارة .. وتمردت الدموع من عيني وقمت وانا القادم من ارض النكبة اهون عليها من اثارها التي تركت جروحا عميقة في نفسها .

وذات مرة احتاجت ليلى لمطالعة بعض المراجع بحثا عن صحة ما جاء في احدى الوثائق المتعلقة بقضية فلسطين والمتصلة بمؤتمر الصلح الذي انعقد في باريس في اعقاب الحرب العالمية الاولى فكتبت الى احد المسؤولين في مكتب الاعلام العربي التابع لجامعة الدول العربية في نيويورك لمساعدتها في التحري عن تلك الوثيقة في مكتبات المدينة الكبيرة . وانقضت بضعة شهور كتبت خلالها عدة رسائل للمسؤول المذكور دون ان يصل اي رد حتى ولا بالاستلام .. وظنت انه لا بد وان يكون الشخص المسؤول خارج نيويورك فكتبت الى الدكتور الما برجر وهو يهودي ومن زعماء المجلس اليهودي الاميركي المعادي للصهيونية والمقيم في نيويورك وكانت تعرفه واعتذرت عن ازعاجها له واخبرته

لوعة التشريد

اين طفلي
اين بيتي ؟ اين أرضي ؟
بعدما افرغت في ارضي حبي
كـل حبـي
اين ثاري ؟ اين حقدي ؟
اين ما ينبت
من غرس التحدي
كان لي طفل وبيت
كان لي أم وأخت
اين طفلي ؟ اين بيتي ؟
اين أمي ؟ اين اختي ؟
اين أرضي ؟
انـا ادري . ألف ادري
ضيع الاذناب ارضي
ساعدوا في ثلم عرضي
اين حقدي اين ثاري ؟
لم أعد في وحشة الدرب صبيا
لا ولا في حمل اشلائي فتيا
سائرا في درب قفر
آكلا همي وفقري ...
سوف نرمي كل
أثواب السخام
وتلوح الشمس من
خلف الغمام
وتغني كل اسراب اليمام
في سفوح القدس
في ارض السلام

عمان يعقوب عبد العزيز الرشيد

بانها كانت ترغب من السيد (هـ) في مكتب الاعلام العربي ان يقـوم بهذه المهمة لولا انه تبين لها انه غير موجود في نيويورك . وفي خـلال اسبوع جاءها الاستيضاح المطلوب من الدكتور برجر الذي لم ينس ان يشير في رده الى انه اتصل تليفونيا بالسيد (هـ) فـــور استلامه رسالتها فتبين انه موجود وانه تسلم رسائلها كلها ولكنه كان مشغـولا لدرجة لم يتمكن معها من الرد عليها ؟

وقالت لي ليلى وهي تعتصر من الالم : اليس من سخريات القدر ان يكون الدكتور برجر اسرع الى استجابة طلب يخدم قضية فلسطين من احد المسؤولين العرب واضافت جملتها الشهيرة الجارحة : « انتم العرب اسوأ محامين لاعدل قضية ! »

وبعد ، فهذه لمحة قصيرة عن السيدة التي تعمل منذ ستة عشر عاما بمعدل خمس عشرة ساعة في اليوم لخدمة قضية فلسطين . هـذا كلام اقوله بلا ادنى مبالغة . ومن يعرف هذه السيدة يعرف هـــذه الحقيقة . ومن يعرفها جيدا او من قرأ ما كتبته من ابحاث او مقالات عن قضية فلسطين يدرك انه قل ان يوجد في الشرق او الغرب ، بـين العرب او غير العرب من يتفهم قضية فلسطين تفهما علميا تاريخيـا مثبتا بالادلة والمستندات الاجنبية والتي ليس بينها وثيقة او مرجعـا عربيا واحدا كما تتفهمها هذه السيدة .

وقد شاءت الصدف ان القاها وزوجها في القاهرة مساء اول ايام آب ـ اغسطس الحالي وهما يزورانها لاول مرة منـــذ تسع سنوات وكانا قد عادا لتوهما من زيارة قصيرة لقطاع غزة . فرأيت فيها وفـي زوجها عزما جديدا واندفاعا لا حد له في الدفاع عـــن حقوق عـــرب فلسطـين .

وقالت ليلى في حفل العشاء التكريمي الذي اقامه علـــى شرفها ذلك المساء وكيل وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية المتحدة انها ذهلت من ذلك الاصرار العجيب على العودة المظفرة الذي لمسته لدى كل من قابلته من ابناء فلسطين في غزة . وتحدثت عـــن مظاهر التقدم الذي شاهدته في الجمهورية وخاصة فـــي المجالين العلمـــي والعسكري وقالت ان اكثر ما لفت نظرها في هذه الزيارة هـــو نجاح التجربة التي خاضتها الثورة العربية في مصر في مجال العمل المشترك والذي كان دليله الواضح ذلك الاستعراض الرياضي الكبير الذي اقيم في استاد القاهرة بمناسبة اعياد الثورة والذي شارك فيه الالوف من شباب الجمهورية وشاباتها وهو امر يناقض ما يحاول اعداء العرب أن يقولوه دوما من ان العربي انسان فردي النزعـة وغيـر قابـل التعاون والعمل المشترك . ولقد سعدت عندما سمعت الدكتور سلامة حمـــاد وكيل وزارة التعليم العالي في الجمهورية يقول عنها فـــي كلمة القاها في حفلة العشاء المذكورة : انني اذ احيي هذه السيدة الجليلة فانـنـى لا احيي فيها حبها للعرب ودفاعها عن قضاياهم العادلة وفي مقدمتهـــا قضية فلسطين بقدر ما احيي فيها رسولة للحق في بلادها وفي القارة التي حان الوقت لكي تعرف الحقيقة وتسمع كلمة الحق بعد ان كـاد طوفان الدجل الصهيوني والاستعماري ان يغرق كـل مبادىء الحـــق والخير التي رفعها احرار الفكر في ربوعها .

اكتب هذه الكلمات وانا ادرك تماما ان ليس هناك مـــا يمكن ان يفي هذه السيدة الوفية حقها . واكتبها وانا اعلم تماما انها ابعد مـــا تكون عن الرغبة في الاعلان عن نفسها . واذا كان لي من عذر في الكتابة عنها دون استئذانها فهو رغبتي في حث بني قومي فـــي هذا الوقت بالذات لكي يؤدي كل منهم واجبه تجاه قضية بلاده من خلال ساعـــة عمل واحدة فقط كل يوم وليس ثماني عشرة ساعة كمـــا تفعل القديسة الهولندية الخالدة . « لينتكه فان درهوفن ليونارد ! »

عمان ـ الاردن البدوي الملثم

الشيخ سعيد اليازجي

بقلم شكر الله الجر

* * *

سعيد اليازجي شاعر ينبع الشعر من رأسه لا من قلبه . ومن فكره لا من لبه . نشأ في كفرشيما بلدية اليازجيين الكبيرين الشيخ نصيف وولده ابراهيم فكان كيفما اتجه شاطئا وجبلا لا يسمع من افواه الناس الا الثناء عليهما والمفاخرة بهما وقد عطر ذكرهما الافواه فشنف المسامع ومشت قصائدهما امثالا على السنة الفتيان والفتيات .

فاقسم على نفسه بأن يسير مسراهما ويطبع على غرارهما في الشعر والادب فاتقن اللغة وعلم البيان وراح يقرض الشعر ناهجا فيه نهجهما في المواعظ والحكم والغـزل الذي ما يبل قلبا ولا يطفىء ظمأ الـى غيره مـن شعر المناسبات . فاجتمع لديه باقة من قصائد كـان بعدها للطبع ولكنها لم تطبع حتى اليوم .

نزل البرازيل اسوة بأخيه الذي سبقه اليها وهـو الشيخ وديع اليازجي الذي اسس مدرسة تعلم اللغـة العربية الى جانب اللغة الوطنية فصادفت اقبالا من الاسر السورية لا سيما الجالية الحمصية في سان باولو مدينة الصناعات الضخمة والثروات الكبيرة فكان طبيعيا ان تكتظ مدرسته بالطلاب وكـان المرحوم سعيد مـن اساتذتها في بادىء الامر ثم ما لبث ان تحول عن التعليم الى تمثيل المحلات التجارية الكبرى متخذا له سكنا مدينة الافق الجميل عاصمة ولاية مينس وهناك قضى ايامه حتى النهاية فيها وكان رحمه الله طيب الاحدوثة كريم الاخلاق يحمل في وجهه وحركاته طابع القرية اللبنانية «كفرشيما» لا تقبل نفسه تطبعا بمحيطه ولا ثقافة دخيلة علـى ثقافته العربية مقتنعا بلون واحد مـن الشعر هـو الكلاسيكية الرصينة وعندما دعيت الى القاء قصيدة بمناسبة تدشين النادي اللبناني في مدينة الافق الجميل تحت رعاية سفير لبنان يومذاك الدكتور رئيف ابـي اللمع وقف الشاعـر اليازجي . وبعد ان رحب بالسفير عطف علي مرحبا بـي قائـلا :

مرحبا بالشعـر فـي روحته	وبالشاعر الحر فـي طلعته
تغازلـه اعيـن النيـرات	وتهفو القلوب الـى بسمته

الى آخر ما في الابيات من صفاء في المودة وذكريات حلوة مرت تحت سماء مدينة النجوم « بللو هوريزونتي » حيث كنت اكثر من التردد عليها .

ويطيب لي انسجاما مع ذكرياتي الحلوة عنهـا ان أترك على صفحات « الاديب » ضوءا من قصيدتي التـي انشدتها في ذلك المهرجان اللبناني الرائع . منوها بليـال ميطنة بالمسرات في ظل جالية لبنانية جبارة هـي عنوان التفوق والنشاط معظم ابنائهامن ابناء زحلة مدينة الشعر ولها قصورها الباذخة ومتاجرها العامرة وحياتها الحافلة باسباب الترف وقد نبغ فيهـا ادبـاء وعلمـاء واطبـاء وصناعيون هم من قلب تلك المدينة قلبها الخافق ومجدها السامق وهاك ابيات من قصيدتي وعنوانها « معلقة الافق الجميل » تجاوزت ابياتها الثمانين وهي مـا تزال تشمخ باطارها الانيق في صالون ذلك النادي حتى اليوم وفيهـا الكثير من غرور الصبا وذكرياته المستحبة :

ما كان يحلم بعـد طول زمانـه	في ان يكف الدهر عـن عدوانه ؟
فيعود للبلـد الـذي آفاقـه	سكبت أفاويـق النهى ببيانـه
كـم صفقت افنانها وطيورهـا	للبلبل الفريـد تحت لسانـه
أوحت اليـه بالروائع فانثنـى	وشذا الربيع يضوع فـي اوزانه
ومنهـا :	
الله في «الافق الجميل» وشمسه	وهوائـه والظل مـن افنائـه
أثرى خمائلـه وزهـر رياضه	ومكاحل للطيب فـي قحوانـه
ذكرت على مـد السنين وجزرها	ذاك الفتى المراح فـي ريعانـه
الاسود الجعدي حـول جبينـه	وبريق عين النجم فـي اجفانـه
او شلة للغيد سحـر عيونهـا	باق بقـاء القلـب فـي خفقانـه
ومنهـا :	
قسما شباب الارز لم انزل علـى	ربع اعـز علـي فـي سكانـه
مـن ربعكم هذا وفـي جنباته	نشات فروع الارز مـن فتيانـه
نهضت عزائمكم بـه فتفجـرت	انهـاره بالتبر فـي قيعانـه
ونمت بـه اغراسكم وتشعبـت	حتى رايت الخصب فـي صوانـه
اخذت باعناق السحاب جهودكم	فزهت صروح زدن فـي عمرانـه
امشي بـه فـي ظلكم وكانني	امشي في الفردوس بـين جنانـه
او مـن ربى لبنان بـين شبابه	الريان مـن مـر العلى ولبانـه

الخ الخ ...

وما انهيت قصيدتي حتى رأيت شيخنـا اليازجـي مقبلا علي ثم راح يقبلني ويبكي من شدة تأثره اذ كـان رحمه الله في آخريات ايامه حاضر الدمعة تنسرب عفـوا من مقلتيه في شتى المناسبات المبهجة والكئيبة .

وطالما اسمعني في الفترات « انك ما زرت هـذه المدينة مرة الا وطلعت علينا بقصيدة جديـدة فـي وصف محاسنها واعشاش الغرام فيها بينما انا لا يهيج شاعريتي ما يهيج شاعريتك منها ولا يتسرب الى نفسي مـا يتغلغل في نفسك من مفاتنها » وقد كان صاحبنا على حق فـي قوله وشتان بين شاعرين شاعر متزوج قبع في زوايا بيته يداعب الفيش البيضاء والحمراء على الطاولة الخضراء مع لفيف من هواتها ، وشاعر طليق مـن قيود الزواج مرخيا للشباب عنانه وتاركا للزمان احكامه . تلك ليال طيبـة تذكرني بمدينة الافق الجميل وأيامي الهائئة فيها وبذلك الصديق الشاعر الذي بارح الدنيا وهـو يهجس بطبع ديوان شعره فعاجله شاعر الحياة الاكبر واعني به الموت فحمله على جناحيه وطار بـه الى حيث يعقـد الشعراء

فلسطين

أعيش غريبـا بعيـد التعب … بعيد الهمـوم قليـل النشب
أعيش غريبـا بقفـر نـأى … كحـر قصيد نبـا واضطرب
أعيش غريبـا بارض السـوى … وارض بلادي مـدار الكـرب
ركبت الخطـوب الـى غايتي … ومـا غايتي غيـر مجـد العرب
فرغـم الهزيمـة لا انثنـي … أغني بـلادي بمـا قـد وجـب
فاسكب شعري كحـر لظـى … واكسو القوافي جـلال الحقب

فلسطـين لا تحزنـي اننـا … سنبقى سيوفا بوجـه النـوب
فـلا نستنيم الـى نكبـة … ستراب مـن صدعنا مـا انشعب
تجـدد مـن عزمنـا مـا وهى … وتحزم مـن امرنـا مـا صعب
فللشعب مهمـا استبد الطغـاة … وجـار البغـاة سبيـل الغلب
فخـل الحسـام يقل مـا يريـد … فـلا نصـر الا بحـد القضـب
فهـذي الحقيقـة لا غيرهـا … تنيـل البـلاد عزيـز الطلـب
فمن لـم يـذد عن حياض الحمى … عميل ذليـل يثيـر الريـب
فحـاذر خيانـة ارض النبي … مهاد المسيـح لـواء العـرب
تقحم علـى الصلح كل المدى … وسد عليـه الربـى والسهب

فلسطـين لا تحزنـي اننـا … سنثار مهمـا استطال الصخب
فمـا ضاع حـق لـه صاحب … وزنـد قـوي يطـول الشهـب
فجند مـن الحق كـل القـوى … وهاجـم حصون القلـى والكلب
وخـل ازيـز الرصاص هناك … يعلمهمـو كيف تلقـى الخطـب
فـان فلسطـين ارض لنـا … وارض العروبـة لـن تغتصب

لاباز ــ بوليفيا … جورج الكعدي

اعراسهم وينشدون اناشيدهم والى القارىء الكريم مـن شعره هذه المقاطع الوصفية الجميلة :

رأيت الغدير علـى مهلـه … يسير ويخطر فـي مشيته
شبيه الفضيلة فـي صمته … ومثل التحنن في رقتـه
تجلى الصباح علـى مائـه … وغنى النسيم علـى ضفته
يصول عليـه الزمان فيرغي … ويطفو الوقار علـى رغوته
وما ان يثور لهـوج الرياح … يعود سريعا الـى هدأتـه
فكن في الحياة شبيه الغدير … اذا الدهر راعك في محنته

ومن شعره يصور غرام فتـى بعروسة احلامـه فيقول :

ترأى الغرام لعـين الفتى … فخف اليـه بوجـه طليـق
فلا السير يوهـن اقدامه … ولا الليل يحجب عنه الطريق
اذا فـي ربيع الحياة فتاة … بوجه صبيح وقـد رشيق
اطلت عليه وفـي ناظريها … لكل معاني الحيـاة بريق
فالقـى اليهـا باشواقه … بصوت شجي وقلب رقيق
وافضت اليـه باحلامهـا … فهاما بلـج الغرام العميق
يطوق عنقـا كجيد الغزال … فطورا يغيب وطـورا يفيق

رحم الله شاعر كفرشيما مـا كان اطيبه عشيرا والطفه سميرا .

جبيل ــ لبنان … شكر الله الجر

نازك بريئة النظرات صافية العينين، صغيرة الوجه ، ساذجة الحياء ، خبيرة الحركات ، ضعيفة الخصر ، قوية الصدر ، خفيفة الخطو ، كثيفة الشعر ، طويلة العنق والساقين والاصابع، لامعة الحدقتين والاسنان والبشرة ، حمراء الخدين والشفتين والاظافر .

(نازك قاسية القلب تدوس قلوب المعجبين بقدميها غير مكترثة ولا مهتمة . فاتكة النظرات ، تسلب بيديها النحيفتين الحركتين ما يتحلى به الرجال من صبر ورزانة وهدوء، وتستأثر بنظراتهم بما تبديه لهم من اللون الاحمر الدامي واللمعان المشرق في فجر شبابها) .

وقد كان عفيف احدى ضحايا تلك الفتاة الفاتنة . وقع في هواها في تلك اللحظة التي حطت نظراته الهائمة على وجهها وقوامها . هناك سحر غريب يدخر في هدوئها وخفتها وعدم اكتراثها . وقد ازداد غراما بها حينما التقاها مرة ثانية واحتكت صاعقة عينيه بسعف عينيها المحترق سوادا .

ــ (انت فاتنة لبي . لا بد ان اتزوجك مهما كلفني الامر) .

ــ (اريدك . اخطبني الى ابي) .

ــ (انت الفتاة الوحيدة التي شعرت نحوها بميل ملهب) .

ــ (انك شاب جذاب ملامح الوجه مخلص على ما اعتقد) .

ــ (انت الفتاة التي قضيت عدة سنين وانا ابحث عنها) .

ــ (انك تختلف عن غيرك من الشبان الذين حاموا حولي) .

« ــ انها ما تزال فتاة صغيرة السن . لا افكر في تزويجها الآن .

ــ سأقدم اليكم كل ما تطلبون . ــ كثيرون طلبوا يدها فلم اجبهم الى طلباتهم . ــ سأدفع لكم المهر الذي تريدونه . ــ لقد عرض احدهم الف دينار مهرا لها ، ولكنني رفضت . ــ هل الزواج تجارة ؟ اتريد ان تضيع مستقبل ابنتك وتقتلها ضيقا ؟ »

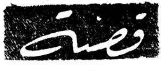
ان صورتها ملازمة ذهن عفيف في كل آن : في النهار وهو يعمل ويمشي ويفكر وينظر . وفي الليل وهو مستلق على ظهره على الفراش. يرى صورتها مرسومة على سقف الغرفة الذي ينظر اليه . يراها واقفة امامه في المرآة وهو يمشط شعره ويحلق ذقنه ويرتب ثيابه ويحكم رباط عنقه . انها تبتسم في وجهه في اطار مؤلف من ازهار الاحلام الحلوة واوراق الاخيلة الجميلة . انها تمشي معه في تخيلاته وتحادثه وتضاحكه . ابتسامتها عذبة كابتسامة الامل ، ووجهها فيه اشراق كنور « النيون » الذي يغمر جو غرفة الاستقبال في



الحب السريع والبطيء

بقلم عبد الحميد الانشاصي

منزله . اعجب بكثيرات من الحسان الفاتنات ثم نسيهن كلهن ما عدا هذه الفتاة الساحرة . لقد استولت على عقله وقلبه لاول نظرة القاها عليها . وتأثير جمالها في نفسه ما زال يسري في اعضاء جسمه منذ التقاها حتى الآن . اعتزم ان يتزوجها بأية وسيلة من الوسائل . سحقا للمال! لقد وجد المال لتحقيق الآمال . يريد ان يفوز بنازك ويختطفها من بين ايدي رغبات الشبان المعجبين بها . ان كانت وهي بعيدة عنه قد نقلته الى عالم تكتنفه الوان من الغبطة



والسعادة . فكيف به اذا اقتربت منه واصبحت زوجة له ؟ انه على استعداد لان يسكنها منزلا واسعا فخما تجد فيه كل ضروب الراحة والهناء لكي تحيطه هو بكل ضروب الراحة والهناء . وسيدللها ويغدق عليها ما لديه من مال . سيسمح لها بشراء الكثير من الثياب الانيقة الجذابة لكي تبدو في عينيه وفي عيون الناس ملكة من ملكات الجمال اللواتي فزن بعدة جوائز من ثناء المعجبين وان لم يفزن بجوائز لجان المحكمين .

(اصوات من الداخل : انت الآن زوجتي . تعالي الي لاضمك الى صدري واقطف من شفتيك الناضجتين حلاوة حبي . لقد انتظرتك طويلا حتى نضج حبي في تخيلاتي . ولا شك ان السعادة التي سنتذوقها هي على قدر الصبر الذي كبحنا به اشواقنا) .

(منظر في الداخل : يطوق خصر نازك بيده ، ويطل على وجهها بعينين حالمتي النظرات ، ثم يغمر شعرها وخدها وعنقها وشفتيها بوابل من قبلاته الحارة) .

عفيف محام موفق . لقد نجح في عدة قضايا هامة ، فأسس له شهرة في المدينة . له اصدقاء كثيرون ومعارف عديدون . فكيف لا يوفق في الخطوة بحبيبته نازك ؟ وكما عرف بالبراعة في الدفاع عن المتهمين واصحاب الحقوق في المحاكم عرف كذلك بغرامه العنيف بالحسناء نازك . اصبح غرامه حديث الناس في المقاهي والمجالس. ابعد هذا كله يفشل في حبه ويحرم التزوج بنازك ؟ ان الزواج في نظره هو نهاية المطاف فان لم يوفق فيه عد نفسه فاشلا في الحياة وان كان موفقا في المحاماة .

ان كان عفيف يحوم حول نازك فان كثيرات من النساء يحمن حوله. منذ وقع في هوى نازك وهن يحاولن اصطياده . محام قدير ناجح كعفيف

يجب الا يفلت من ايديهن . انه خير الازواج .

« — ان نازك يا امي ليست من الجمال بحيث يعجب الناس بها . انها لا تستحق كل هذا الثناء الذي يسبغه عليها المعجبون بها ، ولا كل ذلك الاهتمام الذي ينعم بـه عليها الشبان الظماء .

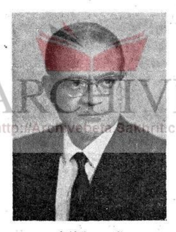
— انها بارعة الجمال يا بنيتي . لا يختلف في ذلك اثنان . كل شيء فيها جميل . من ينكر ذلك ؟ — هناك شيء واحد ينقصها . — ما هو ؟ — حلاوة النفس . خفة الروح . الظرف . المنطق . — وكيف عرفت ذلك ؟ — لقد جالستها مرارا . خبرتها وفهمتها . ان فتاة كهذه لا تستطيع ان تحتفظ برضى زوجها واعجابه طويلا ان تزوجت . لا بد ان يملها وينصرف عنها في النهاية » .

هذا ما تراه سامية . سامية السمراء اللون ذات العينين السوداوين الجميلتين والقوام القصير المنسجم والفم الواسع والحديث الملهي الحلو والانف الكبير والجراة المستحبة . انها تريد عفيفا زوجا لها . سوف تبذل في سبيل ذلك الشيء الكثير من حيلها وجراتها وفتنة انوثتها حتى توقعه في حبائل حبها . قالت : « محال ان تحظى نازك بالمحامي الكبير عفيف » .

« — اريد ان اعمل ضاربة على الآلة الكاتبة في مكتب المحامي عفيف بك يا امي . — في مكتب محام ؟ ان والدك يمانع في ذلك . انه لا يسمح لك بأن تعملي وحدك في مكتب رجل . — ولكن الفتاة الشريفة تظل شريفة طول حياتها وان احيطت بكل انواع المغريات . — أبوك لا يرى هذا الراي . انه شديد الاحتراس والتحفظ كما تعلمين . — ارجوك يا امي ! أقنعيه . ساعديني على مهمتي . ان عفيفا رجل موفق في عمله ، وهو طيب القلب لطيف يمتاز على جميع الشبان . افاهمة انت يا امي ؟ ارجوك ! — ولكن هل يقبلك المحامي ضاربة على الآلة الكاتبة عنده ؟ — طبعا . — حسن ! سنرى » .

★

ان سامية بارعة في الضرب على الآلة الكاتبة . تتقن عملها وتسرع فيه . وهذا ما نالت به اعجاب عفيف . لقد كان في حاجة الى ضاربة على الآلة الكاتبة . استخدم من قبل شابين في اوقات متباعدة لطبع كتبه وملاحظاته وقرارات المحاكم . ولكن خلافا وقع بينه وبينهما فطردهما من مكتبه . اما الآن فان لديه ضاربة لا ضاربا على



عبد الحميد الانشاصي

●

الآلة الكاتبة . للمرة الاولى يستخدم فتاة في مكتبه . أخذ يعاملها في لطف ، واخذت تعامله في رقة وتودد . لم يجتذبه شيء من ثروة جسمها . ليس هناك الا العينان الواسعتان السوداوان الجميلتان والجسم المنسجم على الرغم من قصره . والباقي خال من الجاذبية . لم يفكر لحظة واحدة في تفقد جمالها وانوثتها . كان يحادثها ونظره موجه الى الجدار او الخزانة او الكتب الضخمة المصفوفة في مكتبته امامه . قلما كانت عيناه تقابل عينيها . كانت في نظره فتاة عادية لا تمتاز بشيء من الجمال او الذكاء . انها بارعة في الضرب على الآلة الكاتبة . هذا كل ما يعرفه عنها . وكان يعاملها في رزانة على الرغم من اللطف الذي ادخرته لها رزانته . اما سامية فقد كانت تعامله في تحفظ ورزانة مصنوعة تدخر له توددا مكتوما . لم تره بعد شيئا من فتنة انوثتها المكبوتة . كانت تعمل في صمت وهدوء ورضى وطاعة .

ولكن تلك الحال لم تدم طويلا . بدات سامية تتفنن في ارتداء الاثواب الانيقة الجذابة . اثواب رخيصة ولكنها منطبقة تماما على اعضاء جسمهاومنسجمة مع مفاتنه ، وزخرفها والوانها تلفت النظر . وتفننت كذلك في مشط شعرها الغزير وتسريح خصله . انفقت كثيرا من النقود على اظهار شعرها في المظهر الخلاب . كانت تأتي الى المكتب تارة بشعر أسود كوزي الشكل يبدو على راسها كتاج لملكة من ملكات الفراعنة ، وطورا بشعر محلول مسدول على عنقها وفائض على كتفيها في سلاسة ونعومة وغزارة كماء الشلال . وفي بعض الاحيان تترك خصلة متدلية على احدى عينيها الواسعتين فتبدو العين المظللة بطرف الخصلة السوداء كحيوان وحشي في وجاره .

نجحت سامية ، فقد بدأ المحامي يعيرها شيئا من اهتمامه . جعل يسرح نظره في ثوبها الانيق المنسجم وقوامها المتناسب التقاطيع ، وفي شعرها الاسود الجميل، وفي عينيها الواسعتين السوداوين كحبتي برقوق ناضجتين . ولكن اهتمامه هذا بها لم يدم طويلا . كان يعيش بضع ثوان ثم يموت . ما زال رزينا متعاليا . وما زالت سامية فتاة بسيطة مهملة . لم تتعد منطقة

عملها كضاربة على الآلة الكاتبة . كيف تطغي على سمرة بشرتها وقصر قامتها ودمامة انفها وسعة فمها ؟ لا شك ان هذه العيوب هي التي تحول دون تحقيق امنيتها . هي التي تحجب نظرات المحامي عن عينيها الجميلتين وشعرها الاسود الغزير وقامتها المنسجمة . لا بد من ان تتغلب عليها . انها تملك السلاح لذلك ، هناك الحديث الحلو والجرأة المستحبة . وهذان السلاحان من افتك اسلحة الانوثة . ستقاوم رزانته وتعاليه بهذين السلاحين . اضافت الى التفنن في ارتداء الثياب الانيقة وتسريح شعرها الغزير تفننا في الحديث الطلي والجرأة الانثوية المنجة .

اكثرت سامية من التردد الى عفيف . راحت تتردد اليه لايضاح ما غمض عليها من خطه وكتابته . وكانت تارة تتكىء على طاولته امامه تاركة عند اعلى فستانها فرجة كاشفة وهي تحدق في عينيه بعينيها السوداوين اللتين تضل نظرات الرجل في سعتهما . وتارة تقف بجانبه وهو جالس الى الطاولة مدنية شعرها الغزير من كتفه في خفة ورشاقة كما تدنو السحابة السوداء من شمس الشتاء . فيشعر بانوثتها قريبة منه ، وبنفسها يهب على مقربة منه ، وبصوتها ينساب في اذنه كلحن موسيقي تحت ليل شعرها حاملا طنينا كطنين النحلة وهو ينبعث من برعم ثغرها . حادثته في شيء من الحرية واللباقة كأنها صديقة له . اصبح الآن لا يرغب في وضعها لموقفها منه، وهو لا يريدها ان تنصرف من عنده في سرعة .

ـ خطك جميل ولكنني في بعض الاحيان لا استطيع ان اقرأ كل كلمة تخطها . والسبب انني لم اتعود بعد قراءة خطك قراءة صحيحة .

(انني استطيع ان اقرأ كل كلمة تكتبها ، ولكنني اريد ان اقرأ مع كلماتك على الورق كلماتك التي تخرج من قلبك وتبدو على وجهك) .

ـ مهما يكن من شيء فانك قديرة في اللغة العربية فان تمكنك من اللغة يسهل عليك فهم ما اكتبه .

(انك على جانب من الجاذبية والجمال . ولست ادري لم لم اكتشف ذلك فيك من قبل) .

تطور موقفها منه . جعلت تقل من التردد اليه . فاضطر هو الى التردد اليها بدلا من ان تتردد هي اليه . لاحت لها في عينيه الرزينتين ابتسامات خفيفة ولكنها عميقة وان كان وجهه خاليا من الابتسامات . وانطلقت من فمه بعض كلمات خارجة عن موضوع الحديث معها . وطالت وقفاته بجانبها وهو يشرح لها بعض القضايا .

ـ انك فتاة ذكية . مع الوقت تستطيعين ان تكتسبي معلومات قيمة في القوانين تمكنك من ان تدرسي الحقوق من طريق المراسلة مع احدى الجامعات . كثيرون فعلوا ذلك فنجحوا واحرزوا شهادات مكنتهم من مزاولة المحاماة .

(لا شك انك جميلة فاتنة وان كان يتخلل مفاتنك بعض العيوب) .

غير انه يراها تارة جميلة وطورا دميمة . مضت عدة اسابيع وعفيف في تلك المنطقة من التردد والاحجام . لقد ادركت بذكاء انوثتها ان المحامي وقع في غرامها وان كان يتظاهر بالرزانة والهدوء والاحتراس والتحفظ . انها مستعجلة . تريده ان يبوح اليها بسريرة نفسه ويبثها هواه .

طفقت تبطىء في الضرب على الآلة الكاتبة ، وتهمل في النسخ ، وتكثر من الاخطاء . فالتهب عفيف سخطا . ما الذي طرأ على عقلها ؟ ما بالها تغيرت عليه ؟ ان هذا لم يكن من عادتها من قبل . عجب ! ماذا تريد منه ؟

ـ ماذا جرى لك يا سامية ؟ لماذا تكثرين من الاخطاء ؟ ان نظرك سليم ما في ذلك ريب . فما السبب ؟ هل سبب ذلك العجلة ؟

(انني اشعر انك تحبينني ، واشعر كذلك انك تعلمين انني احبك . اليس كذلك ؟)

فرفعت راسها عن الآلة الكاتبة في ذبول ، والقته على كتفها في دلال ، وقالت بصوت شبه غائب :

ـ لقد مللت هذا العمل . اريد ان الزم البيت .

(انك بارد المشاعر ولست مثلي . اليست فيك عاطفة ؟ الا تدري انني متيمة بك حبا ؟)

ـ تتركين هذا العمل ؟ تلزمين بيتك ؟ امجنونة انت ؟

(الا تشعرين بانني اهواك ؟ كيف تتركينني وحدي يا قاسية القلب ؟)

فضربت سامية طاولة الآلة الكاتبة بقبضة يدها ، وصاحت في حدة :

ـ هل تريدني ان اقضي شبابي هنا ـ في هذا المكتب ؟ دائما طباعة ! دائما ضرب على الآلة الكاتبة ! لقد مللت هذا العمل الراكد ! سئمته !

(لم اسمع منك كلمة واحدة تعرب فيها عن حبك اياي . لم تعدني بكلمة واحدة . هل يسرك ان تراني اتعذب هكذا ؟)

وقد انتبهت لنفسها ، فادركت انها ارتكبت خطأ جسيما حينما ضربت طاولة الآلة الكاتبة بقبضة يدها . لقد نسيت انها موظفة بسيطة في مكتب محام شهير ، وانه ما كان لها ان تتطاول عليه وتظهر سخطها في هذا الشكل . فعضت شفتها السفلى ، واطرقت ناظرة الى الارض في صمت وحياء وندم . فأدرك عفيف انها ندمت على سوء تصرفها تجاهه . فالقى عليها نظرة طويلة صامتة وحار في امرها . لقد اعوزه المنطق وهو من اقدر المحامين في قاعات المحاكم . لم يدر ماذا يقول لها . وبعد تفكير قال بصوت هادىء عميق :

ـ سامية ! سأزيد راتبك زيادة تسرك . سيكون راتبك اعتبارا من اول الشهر القادم خمسة وعشرين

الشمس الحزينة

ساءلت نفسي مرة	والشمس تدنو للمغيب
حمراء قانية كلون	الدم في اليوم الرهيب
وتلفها سحب الغيوم	بكل أسرار الغيوب
فسألت مشرقة النهار	عليلة العصر العجيب
من أين هذا اللون ؟ قالت	من دم القدس السليب
سكان أرضك ما وعوا	آلامهم لولا غروبي
فمتى تراهم يغسلون	العار بالقاني الصبيب ؟
لانير احلام المنى	وآتية بالثوب القشيب

صقر القاسمي

دينارا بدلا من عشرين دينارا . اراضية انت الآن ؟

(انني اعلم انك غير راضية بذلك . تريدينني زوجا لك. حسن! أعدك بالزواج أؤكد لك انني احبك واوثرك على تلك الفتاة التي فتنت بها ، نازك، وان كانت تفوقك جمالا . ان فيك سحرا غريبا لا تزدان به تلك الفتاة) .

نطق بتلك الكلمة « سامية » في رقة وتحبب جعلاها تذوب هوى امامه . شعرت انه اودع تلك الكلمة كلمات اخرى وان لم ينطق بها . سمعته يقول في تلك الكلمة : «انني أهواك . فأنت حبيبتي لا نازك » .

ومع ذلك فقد اجابته بعد هنيهة دون ان ترفع رأسها وتواجه عينيه :

ـ لا ، لست راضية .

(لا تشتر حبي براتب ضخم) .

قالتها بنغمة ضعيفة ممزوجة بشيء من الدلال الخفي والانوثة الحيية المغرية .

وبعد برهة من الصمت المفعم بالتفكير قال المحامي :

ـ ولا تنسي انني سأعنى بك وادرسك واعلمك حتى تتفهمي القوانين وتصبحي قادرة على مراسلة احدى الجامعات والحصول على شهادة الحقوق ، وبعد ذلك تصبحين شريكتي ... أفاهمة انت ؟ اراضية انت الآن ؟

(شريكتي في المنزل والمكتب . اعني زوجتي يا غبية) .

ولكنها لم تجب بل ظلت مطرقة تنظر الى الارض . فألقى يده على كتفها في لطف وقال :

ـ ما الذي يرضيك؟ لم يبق هناك شيء آخر احققه لك .

(منظر في الداخل : يضمها الى صدره ، وينهال على ثغرها تقبيلا) .

ولكنها لزمت الصمت والاطراق .

فمسح شعرها الاسود الغزير بيده في رقة وتؤدة ، وقال بنغمة تفيض مرحا :

ـ وسأتزوجك أيضا .

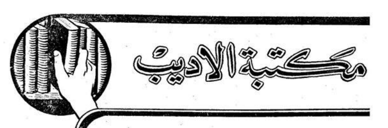
(اصوات من الداخل : انني على يقين بأنك ستنهضين الي لتقبليني . انك فتاة جريئة وتفهمين معنى الحب) .

فرفعت اليه وجهها وقد ضاق عن ضم ينبوع ابتساماتها ، وقالت في فرح مزقزق وهي تنهض اليه لتعانقه :

ـ حبيبي عفيف !

« ـ ان سامية فتاة جميلة يا امي . ـ جميلة ؟ اين هو جمالها ؟ سلامة عينيك ! لا شيء فيها جميل. الا ترى فمها الواسع ؟ الا ترى سمرة بشرتها وقصرهاوأنفها الكبير؟ هل فتاة كهذه تصلح زوجة لك ؟ انت المحامي الشهير تتزوج فتاة متواضعة المنبت بشعة كهذه ؟ ـ ولكنني احبها يا امي . فيها ما يعوض من العيوب التي ذكرتها . ـ وما هو ؟ ـ حديثها الحلو يا أمي . براعتها في الحديث . فتنة انوثتها. جاذبيتها الخفية . وفضلا عن ذلك فهي جميلة العينين منسجمةالجسم وان كانت قصيرة . ـ انها تبدو لك فاتنة لانها لازمتك في مكتبك طويلا. وبعد الزواج تتضح لك عيوبها فتظهر على حقيقتها . وحينئذ تندم ولا نفع في الندم . ان مثلك جدير بأن يتزوج فتاة رائعة الجمال كنازك لا فتاة دميمة كسامية . ـ ولكنني احبها يا امي . وقد اعتزمت ان اتزوج بها . وهي في نظري افتن من نازك . ـ انت حر . افعل ما يحلو لك » .

عمان عبد الحميد الانشاصي



اضواء على الاعلام الاسرائيلي

تاليف الدكتور منذر عنبتاوي – ١٨٨ صفحة – مطبعة (؟)

لقد بدا واضحا للعيان بعد المعارك الكثيرة التي خضناها مع العدو اننا نجهل هذا العدو ونجهل الخطط المحكمة التي يسير بموجبها . ولقد استيقظ الان الراي العام العربي وبدأ يدرك جيدا انه يجب عليه ان يعرف هذا العدو قبل ان يفكر بالانتصار عليه وهكذا اخذ الفكر يلعب دوره في هذا المجال وغدا من المتحتم على كل انسان عربي ان يصرف جزءا من وقته في قراءة هذه الابحاث التي تعرفه بأحوال عدوه الماكر .

ولعل من اهم الدراسات الفلسطينية هذا الكتاب الذي نحن بصدده.

يرى الدكتور منذر عنبتاوي بعد دراسة دقيقة لاوضاع اسرائيل ان للاعلام دورا كبيرا في حياة اسرائيل وان هذا الاعلام يمتاز بسياسة واضحة ومحكمة قبل ولادة اسرائيل في الامم المتحدة . وبعدها . ومن هنا يريد الكاتب أن يعرفنا على هذه السياسة النظرية والتطبيقية من خلال اقوال زعماء اليهود ومفكريهم . ويعتمد اعتمادا كبيرا على الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل . يقول الكاتب : ان استراتيجية الاعلام الاسرائيلي تستهدف من خلال سياسة كسب الانصار ضمان وجود اسرائيل في الخارج كضرورة عالمية .

وبالطبع فان هذا يقتضي ان تنهج في كل دولة نهجا يختلف عن النهج الذي تنهجه في الدولة الاخرى . وان يكون عملها ذا شقين احدهما يتجه الى اليهودية العالمية والاخر يتجه الى المواطنين غير اليهود .

وبما ان دول اوروبا الغربية واميركا الشمالية تعتبر نصيرا لاسرائيل منذ نشوء الحركة الصهيونية لذا فان سياسة اسرائيل بالنسبة لهذه الدول لا تبتغي كسب الانصار بقدر ما تبتغي الاحتفاظ بهم وضمان استمرار دعمهم ماديا ومعنويا للوجود الاسرائيلي كضرورة غربية ديمقراطية .

اما دول اوروبا الشرقية فقد تحول موقفها تجاه اسرائيل فبعد ان كانت متحمسة لوجودها كفت يدها عن دعمها واخذت في تقليص علاقاتها بها . ولكن اسرائيل لم تتخذ سياسة اعلامية معادية لهذه الدول بل كانت سياستها تجاهها تمتاز بالصبر الفاعل او المتحرك . فهي تعمل بصبر وداب ولا تستهين بأي مظهر من مظاهر الاتصال والصداقة يمكن الحصول عليه .

اما مدخل اسرائيل الاعلامي الى القارة الافريقية فانه واسع جدا فهي تريد ان تكسب الانصار وان تستفيد ماديا مدعية ان هنالك روابط متينة تربط افريقيا باسرائيل من اهمها :

وحدة التجربة التاريخية النفسية للشعبين الافريقي واليهودي.

واهمية التجربة الاسرائيلية الرائدة بالنسبة للشعب الافريقي . واليهود اذ يبينون ذلك يؤكدون ان علاقاتهم بافريقيا خالية من الاطماع السياسية . مقتصرة على المنافع المتبادلة لكلا الشعبين . ولا تنسى اسرائيل ان تلح على شيء تنادي به دائما وهو السلام فافريقيا تستطيع ان تلعب دوراً هاما في تحقيق السلام في الشرق الاوسط .

اما بالنسبة لآسيا فاسرائيل تريد ان تثبت وجودها كدولة اسيوية قبل كل شيء . وهذا يبدو متعذرا ما دامت اكثر الدول الاسيوية لا تعترف بها . واذا كان ذلك كذلك فما على اسرائيل الا ان تتمسك بأي خيط يربطها بهذه الدول مهما كان واهيا . وتتبع معها السياسة ذاتها التي اتبعتها في اوروبا الشرقية وهي سياسة الصبر الفاعل او المتحرك .

وينتقل الكاتب بعد ان اوضح لسياسة اسرائيل الاعلامية ومداخلها النظرية ينتقل الى المداخل التطبيقية لهذه السياسة الاعلامية وهي عند الكاتب تحويل الراي العام العالمي من موقف الفهم والتأييد لواقع الوجود الاسرائيلي الى موقف الدفاع عن ذلك الوجود والتحالف معه .

والاعلام الاسرائيلي اذا كان قد توجه من خلال المداخل النظرية الى الدول المتخلفة والراي العام بشكل عام فانه في مداخله التطبيقية يتجه الى الشخصيات التي تعتبر مفاتيح ذلك الراي العام .

والاعلام الاسرائيلي التطبيقي لا يتجه الى خارج اسرائيل فقط بل انه يتبع طرقا متنوعة داخل اسرائيل اهمها :

١ – الصداقة : وتشمل الضيوف الرسميين وغير الرسميين .
٢ – تنظيم المؤتمرات والمهرجانات .
٣ – تخليد الصداقات .
٤ – السياحة .

والكاتب لا يالو جهدا في اعطاء الامثلة عن كل هذه الطرق مقرونة بارقامها وتواريخها .

اما خارج اسرائيل فان الصهيونية تصدر الخبراء الذين لا يذهبون لكي يقبضوا الرواتب . بل انهم يذهبون ليقوموا بمهمة رائدة يخدمون بها بلادهم قبل ان يخدموا مصالحهم الفردية . ولعرض الانتاج الثقافي والفني دوره الكبير في الدول التي تعتقد اسرائيل ان هذا المدخل التطبيقي يؤثر فيها اكثر من غيرها ولا تنسى المهمة التي تزعم انها وجدت من أجلها فتدعي الدفاع عن حقوق الانسان وتقوم باتصالات شخصية في الخارج لتوضح قضية معينة او لتدعم موقفا معينا ولا تترك مناسبة الا وتحاول بها ان تثبت نواياها الطيبة نحو الانسانية . فهي تستغل الكوارث الدولية لتقديم المساعدات للدول المصابة بطرق رسمية او غير رسمية .

واذا كانت هذه بعض الوسائل الاعلامية التي تستخدمها اسرائيل في الدول النامية بشكل خاص فهناك نماذج اخرى تستخدمها اسرائيل في دول اخرى قد لا تتفق معها هذه النماذج . فاميركا اللاتينية التي تشكل نصيرا حتميا لاسرائيل لخلو ذهنها من كل ما يتعلق بالعرب ويمكن ان يظهر حقيقة اسرائيل العدوانية .

وهناك في ذلك المجال الرحب تشكل اللجان وتعقد المؤتمرات الدولية وتجعل الاتصالات الشخصية مستمرة لاستكمال اعمال اللجان والمؤتمرات المسيحية النصيرة .

وحين يصل الكاتب الى الحديث عن اجهزة الاعلام الاسرائيلي يرى ان يسميها ادوات ما دامت كل الدولة الصهيونية قد سخرت من اجل الاعلام وهكذا فان اسرائيل لم تنشىء وزارة ارشاد واعلام وما حاجتها اليها ما دام التخطيط السياسي الشامل لحكومة اسرائيل يقوم على اساس ضرورة اشراك كافة المؤسسات الرسمية وغير الرسمية بدور اعلامي مهما كان نوعه .

ويختم الكاتب كتابه بملحق قصير يتحدث فيه عن قصور الاعلام

العربي بعد ان ارانا السياسة المركزة للاعلام الاسرائيلي (وبضدها تتميز الاشياء) وحين يتساءل عن اسباب تقصير الاعلام العربي يبدو يائسا لان انقضاء عشرين عاما بعد النكبة لم يمكن العرب من الحصول علـى :

١ ـ قيادة ذكية متفانية وكادر متفرغ للعمل ومؤمن به .
٢ ـ وضوح في الهدف .
٣ ـ خطة تنفيذية قائمة على الدراسة والعلم .

اما طرق الخلاص السريع في نظر الكاتب فانشاء منظمة عربية كبيرة تقف وراء المنظمات الفدائية التي يامل ان تكون واحدة في المستقبل وتساندها .

والحقيقة ان اجمل ما في الكتاب كونه يطلع الرأي العام العربي على اساليب عدوه وسياسته المحكمة . ومن هنا يدرك كل فرد عربي انه لا يستطيع ان يتغلب على خصمه ما لم يفهم حق الفهم خططه العلمية ويجابهه بخطط منظمة ومحكمة تحول الرأي العام العالمي من نصير للباطل الى نصير للحق .

اما هذا التشاؤم المطبق فحبذا لو خفف الكاتب بعضه وتمسك بخيوط النور التي تلوح في الافق العربي . واحب ان اسأل الكاتب من الذي يقف وراء المنظمات الفدائية في الوقت الحاضر ؟ ..

دمشق سكينة شهابي

•

صوتي باحثا عن دربي

ديوان شعر بالفرنسية ـ للدكتور محمد عزيز الحبابي ـ ٩٥ صفحة ـ منشورات سيكير بباريس

مما حمل الى قلبي السرور ان يكون ادب الرسائل جاريا بيني وبين أخي وصديقي الشاعر والفيلسوف الدكتور محمد عزيز الحبابي عميد كلية الاداب في المغرب العربي بالرباط بجامعة محمد الخامس ، وان يكون كريما وسخيا باهدائه الي مجموع مؤلفاته الروائع الخوالد بالعربية والفرنسية منذ سنين حتى اليوم ، ومنها ديوانه السابق بالفرنسية الذي سماه « الضياء والشقاء » وقد ترجم الى العربية وطبع في بيروت .

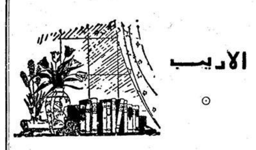
انه لأديب كبير ، ومن طراز فلسفي رفيع ، وقد رحت خلال سروري اذكر ما كان من الصلات العتيقة بين المشارقة والمغاربة في طويل العصور السوابق ، فلقد كان أدب المشرق فواحا من بغداد والديار الشامية ومصر يطير وراء البحار ليجيء دارات أمية وعين شمس في الشمال الافريقي وفي الاندلس ، وكان أدب المغاربة يأتي مع الانسام البليلة فيرف على الشام ومصر والعراق .

وكان ذلك منذ قرون خاليات يوم كانت السفرة تسلخ ستة شهور من مصر الى العراق واكثر من سنة من المغرب الى المشرق .

وكانت الخلطة بين مفكري الشرق والغرب وشيجة ثابتة ، لم يستطع بعد الشقة أن يفل من حدها . فما بالنا اليوم لا نجد مثل هاتيك الوشائج مع وجود الحضارة المعاصرة وتقريب الآماد تقريبا اسطوريا على الارض والبحار وبخاصة في الهواء بركوب الطائرات التي تحمل المرء من الشام الى المغرب بساعات ، على الرغم من المحطات .

كذلك تجيؤني الشهر بعد الشهر آثار صديقي الدكتور عميد الادب في المغرب الدكتور عبد العزيز الحبابي ومجلة الآفاق التي يحررها مع طائفة من الادباء والاعيان ومؤلفات رفقة له من كبار الكتاب والشعراء وفي مقدمتهم السفير الكاتب الكبير عبد المجيد بن جلون وصديقي القديم الاستاذ العظيم عبد الله كنون الذي رجوته ان يطبع

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 : Tel

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

رسائله الي على الآلة الكاتبة ، فقد عسرت علي قراءة خطه المغربي الحبيب ، فاصبح برجائي عاملا على الدوام .

واليوم أتلقى من العميد الحسيب في الاسرة والفكر ، والنسيب في العمل والتاليف ، كتابه الاخير وهو ديوان باللغة الفرنسية سماه :

Ma voix à la recherche de sa voie

وقد ترجمه بقولي « صوتي باحثا عن دربه » .

وكتبت اليه بعد أن تلقيت ديوانه هذا ، ان اكتب عنه وان أنقل الى الشعر العربي مقطوعتين من شعره بالفرنسية . لقد بدأ ديوانه بأبيات سماها «الشاعر الشريد» ولم أعرب كلمة Vagabond بالمتشرد ، فان العربي القديم ابن الشريد السلمي دعاني الى تعريب هذه الكلمة بالشريد ، وقد وقف الجزء الاول من ديوانه على الشاعر وحده بقصائد ومقطوعات صاغها من أجله فكانت القصيدة الاولى :

الشاعر يخطب الفجر

اي يلبس الفجر والصباح خاتم الخطبة الزوجية فيقول :

يا خاطب الفجر
في غلس الليل
يا حاطم الظلال
وساحر النجوم
أنت صاحب القصر في الايام الجديدة
والشاعر الذي يهز تلاوين الكلام

والقصيدة الثانية التي أحيرها شعرا عربيا ، سماها « الشاعر المتنبىء » ، وقد ذكرني بكارلايل ، الذي سلك المتنبىء في صورة بطل، ان الحبابي يقول بلسان المحاسني :

وقف الفصيح وقوف مثننة   ليذر في الآفاق نجواه
فتدفقت كلماته تسعى   فوق الاثير بلون دعواه
هبت رياح كالخيول لها   سير عصوف هز ذكراه
شعر تدافع في مدارجه ،   للسامعين الصم معناه

هذا المهول هو الفصيح له   أحلامه تهتاج مغناه
تنساب في الانحاء آيته   مثلا علا في الشعر مغزاه
ولكفه صفع لكل أذى   للهدم قد باتت نواياه
هو شاهد كالديديان له   روعاته والحق يرعاه

ذي نفسه ان حازها غضب   او نالها نغم ففناه
فلقد رواه الدهر حين حكى   وتسمعت دنياه شكواه

وشد ما راقني شعره ، فنقلت منه هذه المقطوعة الثانية الى العربية واسمها « الشمس » :

ايتها الشمس التي   في الافق ماذا تصنعين
تعب الهواء بخفقه   أفلست يوما تتعبين
يحمر وجهك في العلى   أفانت أيضا تغضبين
هيا ، وغبت عشية   وانجاب وجهك والجبين
فهل النجوم لوامع   لك في محياك الحنون
يأتي بها البدر الجميل   وكنت حينا تلعبين

لا تكرهي العيد البديع   ففيم صفعا تضربين
أدعابة هذي لديك   أم الاذية والجنون

أنت الحرور بصلعة   لم تحل في عين القرون
جبارة الحشرات أنت   اللحريق ستذهبين
غطي بشال من دجى   رأسا فهلا تصنعين

وقد عددت القصائد والمقطعات في هذا الديوان الرائع ، فهي أربعون ، وهي تموج بالفكر والعاطفة والحنين والحب ، وقد حمل الشاعر الفيلسوف صاحبها مصباح صديقه العتيق « ديوجين » الذي كان يسأله الناس :

– فيم يا ديوجين تحمل المصباح في رابعة النهار ؟

فيتضاحك متهكما ، ويقول :

– أبحث عن الرجل !

وكذلك الشاعر الفيلسوف الحبابي حمل في ديوانه هذا مصباح ديوجين ! فرحت من وراء الشعر الرائع الذي نظمه بالفرنسية ، اقول له بالعربية :

– تحمل مصباحك في رابعة الضحى ؟

فيجيبني متبسما من وراء الافاق ، من وراء نظارتيه السوداوين :

اني اطيل البحث عن دربي   ولقد جعلت الصوت مصباحي

دمشق   زكي المحاسني

●

احـزان البنفسـج

مجموعة شعرية ـ عبد الخالق فريد ـ ٩٦ صفحة ـ نشر مكتبة عالم الكتب المصرية ـ مطابع دار الهنا بالقاهرة

ديوان جديد للشاعر العراقي عبد الخالق فريد ، وهو رابع دواوينه ، فقد ظهر له من قبل : نداء الاعماق (١٩٥٥) أغاني الحان القديم (١٩٦٠) العطر الضائع (١٩٦٣) . وعبد الخالق فريد رومانسي المذهب يعيش في واحة خضراء من الحان حبه ، وزهور صباباته ، وهوى احلامه ويقصر شعره على هذا الجانب الوجداني العاطفي وحده الذي غنى له شعراؤنا القدماء ، من امثال جميل ، والمجنون ، والعباس بن الاصنف ، ومن امثال عمر بن ابي ربيعة وخالد بن يزيد الكاتب وسواهم وغنى له كذلك شاعرنا الخالد ابراهيم ناجي صاحب قصائد العودة والاطلال ، وملحمة ليالي القاهرة ، وسواها الذي قصر عليه شعره ، ومن لغته واسلوبه وموسيقاه . وفي الديوان قصيدة تمثل استاذية ناجي للشاعر وتحمل عنوان « الطائر الجريح » وهذا الاسم حبيب الى قلوبنا ، لانه اسم اخر دواوين ناجي ، وقد صدر بعد وفاته عن دار المعارف بالقاهرة ، وجمع قصائده من اواخر شعره الذي لم ينشر في ديوانيه الاولين : من وراء الغمام ، ليالي القاهرة: وان بقيت هناك قصائد كثيرة لم تجمع بعد في ديوان ، وقد ذكر الاستاذ وديع فلسطين بعضا منها في سلسلة من المقالات نشرها في مجلة « الاديب » عام ١٩٦٥ ، يقول الشاعر عبد الخالق فريد من هذه القصيدة التي اهداها الى روح ناجي :

تمضي السنون وانت انت رجائي   ما هاج بي ألمي وعاود دائي
تمضي السنون وانت باق في فمي   لحنا يمور مجنح الاصداء
توحي الي الشعر ينضح لوعة   في رقة تنساب كالاشذاء
فاذا طفى الشوق الذبيح باضلعي   أسعى اليك بخافق بكاء
مستلهما منك الخلود ، ومن سنا   أنغامك السكرى شجي غنائي

وهنا يذكر الشاعر تأثره بناجي في مذهبه الشعري وفي رقته وفي موسيقاه الشعرية ، ثم يتحدث عن ناجي وحياته ، يختم القصيدة بقوله :

يا شاعري حدث أحاديث الهوى   واصدح فقد اوغلت في الاغفاء
لله درك عاشقا متفردا   ستظل وحي الحب للشعراء

وصلة شاعرنا ناجي تجعل منه امتدادا من امتدادات مدرسة « أبولو » الشعرية ، وتصله بشعرائها المعاصرين من امثال الدكتور

كمال نشأت ، ومحمد فوزي العنتيل وجليلة رضا ، وملك عبد العزيز ، ومن طبقة الشيوخ من أمثال حسن كامل الصيرفي وغيره .

وقد أحتفى أدباء « أبولو » المعاصرون بالشاعر فريد وبديوانه ، وكان من الصلات الروحية التي يحجبها والنسيان هي التي تعمل عملها في هذا الاحتفاء . يقول الشاعر حسن كامل الصيرفي في الشاعر : هو في أغانيه ، وفي شعره ، شاعر رقيق اللفظ عذب الرنين ، كلماته تكاد تطير ، قوة جناح وخفة روح ، ومعانيه جديدة تسترعي النظر متألقة اللون جذابة الملامح ، وهو يقيم له كيانا اصيلا متميزا بموسيقاه الفذة ، ومعانيه المستحدثة والفاظه الرقيقة .

ويقول فيه الناقد مصطفى السحرتي (مقدمة الديوان بقلم السحرتي) : أول ما يبهرنا من هذا الشاعر صدقه الشعوري ، وصدقه الشعري وموسيقى الشاعر هي العنصر الجوهري البارز في شعره والذي يطغى على عناصر الشعر الاخرى من فكر وانفعال ودقة معنى . واذا اردنا ان نعرف بواعث وقوف شاعرنا الولهان ، صاحب هذه النزعة الحسية في الحب عند هذا المذهب حده لا يتعداه وجدناها متمثلة في قصيدة « أغنية للضياع » وفيها يقول :

واضيعةالعمر!قد عاد الغريبسدى   وعاد لا نغم حلو يسليه
واضيعة العمر كم من ليلة عبرت   وليس من قمر يجلو دياجيه

وهنا يتضح في جلاء ان الشاعر يشعر بالغربة ويعيش في فيافي اليأس ، ترفرف حوله الذكريات السود .

وهب الشاعر حياته للحب لان حياته الحب والحب الحياة . كما يقول الناقد السحرتي ، وكما قال شوقي امير الشعراء ، وأغنيات الشاعر في حبه واحبابه جميلة قصيرة وتتميز بموسيقاها الهامسة وبرعشاتها التصويرية الجميلة في كثير من الاحيان . ولعل من اجمل قصائده موسيقى وعذوبة وجمالا وخفة قصيدته « ليالي الشوق » وفيها يقول :

لم أزل والساعة التعبى معي   تنتهي دقاتها في مسمعي
سأم يفني وجودي ، ورؤى   تتلاشى في فؤادي الموجع
يا ليالي الشوق هل من عودة   يا اماني القلب هل من مطلع ؟
سئمت روحي اطاييب المنى   وانا أرقب لقيا مصرعي
ليت من اغفى على عهد الهوى   حمل الشوق الذي في أضلعي

وقصيدته « أنا والليل » فيها اللذة الروحية والحب الحسي يكادان يتلاقيان وفيها يقول :

ضاع الهوى والذكريات جميعها   وأنا بوادي الدمع وحدي مفجع
محمومة الشفتين كيف الملتقى ؟   رحماك جفت من عيوني الادمع
مر الشتاء فأين أين لذائذي   يا حلوتي أين الربيع الممرع ؟!

وهكذا يعبر الشاعر بحس رومانسي عن صباباته وأحلامه ، وحبه ، وهيامه ..

وقد لام الناقد السحرتي وغيره الشاعر لقصره شعره على هذا النغم الواحد ، ولكن الشعراء مذاهب ولو صح هذا النقد لوجه الى كثير من شعراء اليوم والامس ونحن هنا لا نحاسب الشاعر الا على تقصيره ولا نثني على فنه الا بمدى جودته في صياغة تجاربه الشعرية وعواطفه وانفعالاته فحسب . ويأخذ السحرتي على الشاعر تعابيره المطلقة ، من مثل : أنت دنيا هينمات اغان ، ومثل « سمراء يا ترنيمة المنتهى » . وقوله : يا هينمات الجمال وما شابهها من العبارات المجنحة ، التي تفر من الذهن ولا تعطي معنى محدودا للمتلقي ، ويرى ان هذه التعابير المطلقة كانت محببة الى الجيل الرومانتيكي الماضي ، وكانت تمثل الشاعر الهوم في دنيا الجمال وعالم الضباب ، وتعد لدى الكثيرين من الطرائف ولكنها اليوم لا تطيب لنا في المرحلة الادبية الواقعية التي نعايشها والتي تستلزم العبارة المؤثرة في الحس او الذهن . ويكاد السحرتي في هذا النقد يفر من رومانتيكيته القديمة الى واقعية اليوم . وانا لا استطيع ان احكم مذهبا في مذهب والاهم

● محمد مصطفى الماحي ، القاهرة :

وان أدبك ليلاقي من تقدير الادباء ما يستحقه ، بل واكثر مما لقيته « أحزان الى الابد » الرواية التي نمقها قلم الناقد الاريب « رامي حسام الدين » لصديقته بنت الوزير ... والتي أيقظ من أجلها ثلاثة من اصدقائه الادباء ، بضع ليال ، ليعدوا دراسات عن الكتاب ، ويبعثوا بها الى المجلات الفكرية للاشادة بادبها ، على نحو ما بينت روايتك الممتعة « رياح كانون » في فصولها الاثني عشر ...

● عيسى الناعوري ، عمان :

... فالعديد من الفتيات ، اللواتي برزن في ميادين الأدب عندنا ، هن « لبنى آل الامير » بطلة « رياح كانون » ، واغلب ما ظهر لهن من نتاج ادبي نال الثناء العريض من الصحافة الدجالة ، كان من نوع روايتها «احزان الى الابد»، كتبها رجال متملقون يخونون رسالة الادب اكراما لجمال المرأة !

● خليل الهنداوي ، حلب :

... ولنا ان نتساءل : الى أي حد يقع الملام على « رامي » ، الذي سخر فضيلته وأدبه ، وباع روحه بثمن بخس ؟ ولكن ، لا ضير على من فقد نفسه ثم وجدها ، ما دام الادباء المدعون كثيرا ما يخسرون الحب ، ويكسبهم الادب .

في رأيي هو الحكم على مدى توفيق الشاعر في أداء تجربته الشعرية وعلى قدرته على تصويرها تصويرا دقيقا لماحا . كما لاحظ السحرتي ان لغة الشاعر يكثر فيها « العطر والنغم » وعلل لذلك بأنه شاعر محب والعطر والنغم من مثيرات الهوى والصبابة ومن الناطقات به كذلك ومن ثم سماه « شاعر الاعطار والانغام » وهو في ذلك يصور حقيقة الشاعر ويحلل اثر العوامل النفسية فيه تحليلا دقيقا مبنيا على المذهب النفسي في النقد .

وبعد فان عبد الخالق فريد شاعر مقل مجيد ، لغته الرومانسية وفنه العاطفي ، وموسيقاه الهادئة تصوره تمام التصوير ، اداؤه بارع في كثير من الاحيان ومن أخطائه التي جاءت في الديوان تشديد الفاء في « الشفه » في بيته :

فحطمي القيد ولا تبخلي   برشفة سمراء من شفتك

ووصف الرشفة بالسمراء تعبير رومانسي لا نحاسبه عليه ، وهذا التشديد للفاء قد قصده الشاعر وبنى عليه الوزن الشعري لقصيدته، وهو خطأ لغوي لان الشفة لا تكون الا بتخفيف الفاء ومنها كذلك قوله :

ابدا تسربل الاعراق بالوهم الفضيع .

يريد الفظيع ، واخواننا العراقيون يستعملون الضاد بدلا من الظاء كثيرا وان ادى ذلك الى خطأ لغوي وهذا ما لا نحبه ، ولا نجيزه. ويعدي الشاعر بعض الكلمات بالهمزة بما لا يصح تعديتها بها ومن ذلك قوله :

فازيدي من لذتي ودعيني   لسنا ناظريك دوما أغني

فكلمة أزيدي خطأ واضح .

واخيرا فاننا نحيي في الشاعر اجتهاده في فنه الشعري وميله الى اتقانه وتجويده وتطويره المستمر لفنه وموسيقاه . و « احزان البنفسج » يعطينا كل المفاتيح الدالة على الشاعر شعورا وتجربة وفنا ، وعلى يومه وغده الشعري ، ويكفينا ذلك دلالة على أهميته وعلى حيويته جميعا .

القاهرة **محمد عبد المنعم خفاجي**

•

ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس

شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين ـ ٤٧١ صفحة ـ حجم كبير ـ الطبعة الثانية ـ مطابع الاهرام ـ نشر وتوزيع المكتب الشرقي ببيروت

صدر هذا المجهود الضخم أخيرا في طبعة فاخرة أنيقة ، قبل مدة لا تحسب في عمر الادب ، وكان قد صدر في طبعته الاولى منذ بضعة عشر سنة ، الا ان هذه الطبعة تمتاز على الطبعة الاولى بالجهد الكبير الذي بذله المحقق في اكمال فجوات النقص التي ظهرت في الطبعة الاولى ، ومما حفز الدكتور على اعادة طبعه عثوره على مخطوطة جديدة بعد صدور الطبعة الاولى .

وكان قد قام المستشرق الالماني رودلف جاير بنشر هذا الديوان للمرة الاولى سنة ١٩٢٨ ، مستعينا في ذلك بستة نسخ مخطوطة له هي كل ما حصل عليه ، وبعدد ضخم من الكتب العربية في تصحيح الابيات والوقائع وفي وضع الملحقات التي جاءت في اخر الطبعة .

وجاء الدكتور حسين ، فدرس هذه الطبعة دراسة وافية ، وخرج بنتيجة هي انه يجب اعادة تحقيق هذا الديوان ، فقد وقعت أخطاء كثيرة في طبعة جاير ، فالخطأ في نسبة الابيات الى صاحبها ، والاخطاء الكثيرة التي وقعت في الجزء الاخير ، بسبب من قدم خط النسخة المخطوطة (نسخة الاسكوريال) ورداءة هذا الخط ، ثم للشلل الذي أصاب الاستاذ جاير في جانبه الايمن ، ثم ان الشرح الذي يصحب النص في هذه المخطوطة كان يقل بالتدريج ، الى درجة خلت معها القصائد الاخيرة من هذا الشرح . لكل هذا قام الدكتور حسين باعادة تحقيق هذا الديوان معتمدا اعتمادا كليا على نسخة جاير هذه .

وقد انحصر عمله في هذا الديوان في مراجعة الشرح ، وتعقب ما فات الشارح ، والتقديم للقصائد وذلك بالتعريف للاعلام والاحداث التي تشير اليها تلك القصائد ، ثم تقريب الشعر الى القارىء ، وذلك بتقديم نثر كامل للقصائد يقابل النص الشعري ، واخيرا الفهارس الكثيرة التي وضعها في اخر الديوان للمفردات اللغوية والاعلام والاماكن والاغراض والمعاني ، لتيسير امور كثيرة يحتاجها المراجع للديوان .

ان الطريقة التي اتبعها المحقق للديوان طريقة مالوفة مبتكرة .

فالمالوف فيها ان الدكتور حسين كعادة المحققين في تحقيق هذا النوع من الكتب يعنى بترتيب ابيات القصائد ترتيبا منطقيا مستعينا في ذلك بالنسخ المخطوطة المختلفة ، ثم يشرح المفردات والعبارات شرحا وافيا في هوامش الكتاب ، جامعا بين الكلمة وجارتها والبيت وجاره في فقرة واحدة ليكون الشرح اوفى والعبارة ابلغ في ربط المعنى ، كذلك قام بتصحيح كثير من الالفاظ والعبارات معتمدا في ذلك على المعنى والنسخ المخطوطة .

كذلك قدم للديوان بدراسة قيمة للاعشى وشعره بلغت تسع عشرة صفحة ، وخريطة نسب تمثل فروع واغصان قبيلة بكر الكثيرة التي انحدر منها الشاعر .

أما الجديد المبتكر فهو شرح الابيات شرحا فنيا بلغ الروعة وجمال النثر الفني الرفيع ، واختلفت طرقه عند المحقق بسبب من الصعوبة التي رآها ستلحق بالقارىء .

فهو قبل ايراد النص يورد نثرا فنيا جميلا للقصائد ، يربط فيه النص الشعري «ببيئته وبالقيم الادبية والاجتماعية التي يصورها» . وقد حاول في هذا النوع الاحتفاظ بقافية واحدة ، ولكنه رأى ان التقيد بقافية واحدة يحد من حريته في الشرح والتوضيح فغير القافية كلما استعصى عليه الاستمرار فيها ، ولكنه رأى ايضا ان هناك صعوبات جمة في ذلك ، فقدم نثره هذا في مجموعات تصور كل منها عددا من الابيات المترابطة المعنى ، وتفاوتت هذه الانواع من الشروح ، وبقيت تطغي على صفحات الديوان الى آخره ، وحرص ان يكون الشرح الادبي بمقابل النص ، ليتسنى للمراجع الاستفادة السريعة وعدم تضييع الوقت . ولعله اقتبس هذا من طريقة شرح الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، فكثير من التفاسير القديمة تضع النص مقابل الشرح .

اما الجديد الاخر في تحقيقه للديوان فهو التقديم للقصائد . نعم ان كثيرا من المحققين يقدمون للقصائد بمقدمات تسبقها ، الا ان الدكتور حسين ينفرد عنهم في ان تقديمه لقصائد الاعشى كان وافيا فقد الم فيه بتعريف للاعلام والاحداث تعريفا شبه كامل في أحيان كثيرة ، ولم يكتف بذلك بل اورد في التقديم ملاحظات عامة يمكن أن تكون مراجع للربط بين القصائد التي تعنى بحدث او علم واحد او أكثر . وهي تساعد كذلك على فهم الجو العام الذي قيل فيه النص الشعري .

كذلك كان من الجدة في طريقته ايراد جدول لتصحيفات النسخة الاوروبية من لغوية ولفظية وغيرها ، ولما بينها وبين نسخته من مخالفة ، وقصد من ذلك الى عدم فرض رأيه واجتهاده على القارىء لنسخته .

ومع كل ذلك فقد وقعت بعض الاخطاء في هذه النسخة ومعظمها ـ كما اظن ـ يعود الى منضد الحروف في المطبعة ، وهي لا تستحق الذكر هنا بجانب الجهد الكبير النافع الذي اتى به المؤلف .

وكان من حق التحقيق والامانة العلمية على الدكتور حسين ، ان لا يضرب صفحا عن قسم كبير من الملحقات في الطبعة الاوروبية ، معتذرا بوضوح الخطأ في نسبة بعضها للاعشى تارة ، والتحريف الواقع في بعضها ومشابهتها لابيات وردت في الديوان تارة اخرى . بل يرجع اليها فيحققها كما فعل مع قصائد الديوان نفسه ، فيثبت في ملحق خاص بكتابه ما ثبتت نسبته للاعشى ، ويترك ما سواه ، وهو القدير على ذلك لما أوتي من علم وخبرة في هذا المجال ، حتى يعم النفع وتشمل الفائدة .

الدمام ـ السعودية **محمد قنديل**